أبو العباس و أولاد عنان

و ماذا عن
الرحالة فى شهر رمضان

إعداد

إبراهيم إبراهيم عنانى

عضو اتحاد المؤرخين العرب

١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م

مركز الاسكندرية للكتاب

٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة

الأزاريطة ت ٤٨٤٦٥٠٨

أبو العباس وأولاد عنان

وماذا عن

الرحالة في شهر رمضان

أبو العباس وأولاد عنان

وماذا عن

الرحالة في شهر رمضان

إعداد

إبراهيم إبراهيم عناني

عضو اتحاد المؤرخين العرب

١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفه – الأزاريطة

☎ : ٤٨٤٦٥٠٨

أبو العباس وأولاد عنان
تأليف: د. إبراهيم عناني
رقم الإيداع: ٢٠٥٨٤/ ٢٠٠٦م
الترقيم الدولي: ٩-١٠٥-٣٨٨-٩٧٧
الناشر: مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦د. مصطفى مشرفة الازاريطة- سوتير سابقاً
تليفون وفاكس رقم: ٤٨٤٦٥٠٨ الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلي روح أبي

الذي أعطاني العلم والمبادئ

وترك لي مكتبته القيمة

إلي روح أمي نبع الحنان والقلب الكبير



إلي روح أخي عبد المحسن

الســـيرة العطرة

إلي روح أستاذي عبد المنعم درويش مصطفي

عاشق التاريخ معلمي في المرحلة الثانوية

إلي روح أ٠د السيد عبد العزيز سالم

أول من قدمني مؤلفا وباحثا في التاريخ

مقدمــة

يتــناول هذا الكتيب في الجزء الأول العارف بالله أبو العباس المرسي بمسجده الشهير الذي يمثل معلم من معالم الإسكندرية في ميدان شهير يضم مساجد ذاعت شهرتها أرجاء العالم الإســلامي ·· لــذا فلــم يقتصر الكتيب علي أبي العباس وتلاميذه ومريديه ومسجده وميدانه الفســيح بــل يتــناول أيضــا المشاهير أمثال ياقوت العرشــــي ، الطرطوشي ، البوصيري ، ومســاجد أخــري مــن معالم الإسكندرية أمثال سيدي بشــــر ، ســــيدي جابر ، الشاطبي ، القباري ، سند بن عنان ·

ويــتحدث الكتيب عن أبي العباس مولده في مرسيه وتسمي بالأسبانية (مورسا) كلمة يونانــية منســوبة عند الأقدمين إلي الزهره ·· ولقد عرفت الأندلس في أقدم عصورها باسم {إيبريا} نسبة إلي الإيبيريين أقدم من سكن هذه البلاد من البشر ·

والأندلــس اســم أطلقــه المســلمون علي شبه جزيرة { أباريه} إيبيريا تعريبا لكلمة {فنداليثيا} التي كانت تطلق علي الاقليم الروماني المعروف بإقليم { باطقة } Baetico الذي احتلــته قــبائل الفندال الجرمانية وشبه الجزيرة التي تشمل حاليا دولتي { أسبانيا والبرتغال } وأطلق الرومان علي شبه الجزيرة حين حكموها أسبانيا Hespania وقد استنبطوه من تعبير كــان الفينيقــيون قد أطلقوه من قبل علي الشاطئ الذي نزلوا به من تلك البلاد ، وهذا التعبير الفينيقــي يعني شاطئ الأرانب ischephan-in لأن الفينيقيين قد صادفوا كثيرا علي الشاطئ الإيبــيري حيــن نزلوا به ، ولعل المسلمون حين صار مؤرخوهم وجغرافيوهم وسائر علمائهم يســتعملون هــذه التســمية التي أطلقوها علي شبه الجزيرة جميعا (الأندلس) فإن المسلمين أخــذوه مــن كلمــة (وندلس) Vandalos وهو اسم لبعض القبائل الأوربية الشمالية التي أغارت علي شبه الجزيرة في أوائل القرن الخامس الميلادي علي ممتلكات الرومان وهم هؤلاء (الــ وندلس) أو الوندال ــ كما تعود كثير من الباحثين علي تسميتهم ·

وترجع تسمية المسلمون لهذه البلاد كأنهم نسبوها إلي من حكموها من قبل واشتهروا بهــا ولعل التسمية مرت بمراحل صوتية ثلاث : الأولي (فندلس) والثانية (وندلس) والثالثة وهي التطور الأخير الذي أحدثه المسلمون حين قالوا (أندلس) لا (فندلس) ولا (وندلس) ولقد بقــي اســم (الأندلس) الذي أطلقه المسلمون وحتي بعد خروجهم من البلاد بقي مع شيئ من التطور كذلك في معناه ·· أما اللفظ فقد أصبح في اللغة الأسبانية (اندليثيا) بدلا من أندلس·

وينتقل الحديث عن شخصية أبي العباس وحياته العلمية وفلسفته وتصوفه وأشعاره ·

وكـان الناصـر بن محمد بن قلاوون بن السلطان الحاكم قد طلب أن يتزوج " بهجه " بنـت أبي العبـاس فـرفض أبو العباس هذا الزوج ، وزوجها لتلميذه ياقوت العـرشي ٠٠ أما البوصيري فحسبه قصيدة البرده التي نالت الإجلال والإحترام ٠

ويحسب للشيخ القباري أن سعي إليه الحكام وكبار رجال الدولة لزيارته ٠٠ فلما أتاه السـلطان الظاهـر بيـبرس وسأله النصيحة أوصاه بعمارة أسوار الإسكندرية وتحصينها فنفذ الظاهر بيبرس وصيته ٠

وينـتقل البحـث فـي الجـزء الثاني عن ليالي رمضان وبهجتها في ميدان المساجد والمنشية والإبراهيمية والأحياء الشعبية ومواكب دراويش الصوفية في رمضان وشاعر الربابة والمسحراتي وفانوس رمضان والحضرة في ليالي رمضان بين قزقزة الياميش وإرتشاف القرفة في الزمن الجميل والتي تعود إلي تاريخ قريب وأحاديث رمضان النسائية ٠

وكـان الشـيخ " سـلامة حجازي " يقوم بأداء الأذان في جامع البوصيري إلي جانب اشـتراكه في قيادة حلقات الذكر وهو طفل ٠٠ إلي جانب قيامه بقراءة الورد اليومي في منازل أهـل هذه المنطقة الشعبية حتي كبر وأصبح منشدا له مستمعين وله لياليه الخاصة التي ينشد فيها هو وفرقته ويأتي إليه محبيه لاستماع الأناشيد والتراتيل التي كان يقدمها ٠

أمـا الجـزء الثالـث فيخـتص بكتابات الرحالة الأوروبيين من خلال رؤيتهم لأحوال المجتمعات الشرقية ورصدهم لمظاهر شهر رمضان من أنوار ومسحراتي وسهرات ومؤتمرات نسائية وترقب الجميع لإنطلاق مدفع رمضان ٠

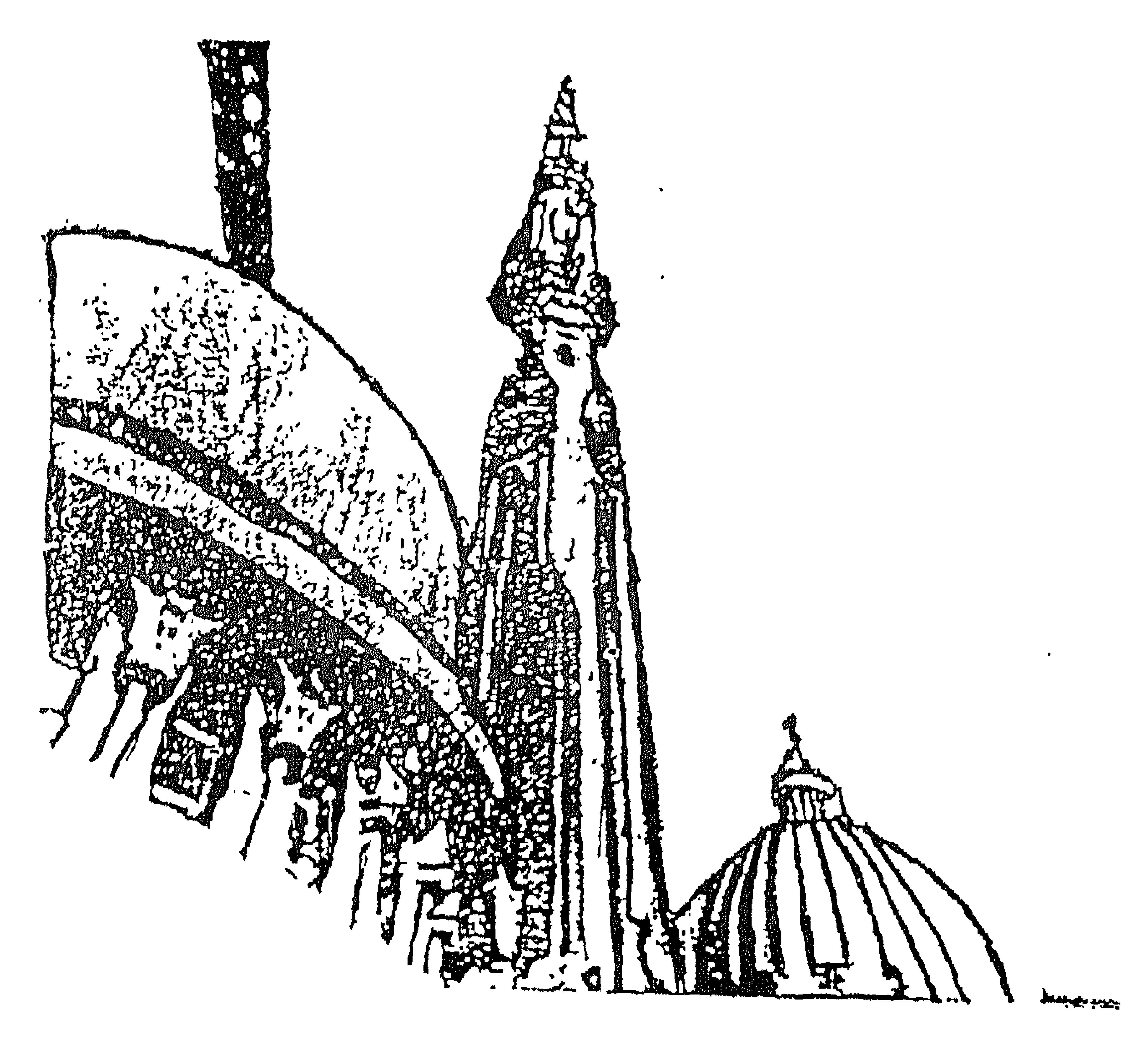
وينـتقل الحديـث إلـي نهاية شهر رمضان واستعدادات عيد الفطر المبارك ولما كان يحـدث في التاريخ من سماط الخليفة في العيد والكعك وطلعة عيد الفطر وكتابات الرحالة أيضا عن مظاهر عيد الفطر المبارك ٠

والكتيـب علـي صـغر حجمه فإنه في بداياته يتناول أعلام في الإسكندرية يحملون مشـاعل الأسوة الحسنة والدعوة إلي الخير والتقوي والتقرب إلي الله والعمل بسنة رسوله ﷺ والتمسك بصحيح الإيمان والحديث عن رمضان نورا وبهجة في بيوت الله ٠

ونختـتم هذه الدراسة بوصايا أبو العباس وشهادة العلماء لأبي العباس فوصفوه بأنه الولي الصالح الزاهد العابد ٠

وعلي الله قصـد السـبيل ،،

إبراهيم عنانـي



مسـجد أولاد عنان

وأعلي مئذنة في تاريخ الإسلام

يضم المسجد أعلي مئذنة في تاريخ الإسلام بارتفاع ١٣٠ مترا بالإضافة إلي عدد من القباب فلقـد تـم تفكيك ونقل المسجد الذي كان يطل علي ميدان باب الحديد بالقاهرة حيث محطة القطار الرئيسية وأعيد تركيب جدرانه ورخامه .. أما القباب فهي :

- القـبة الكبري " الرئيسية " وهي بارتفاع ٤٢ مترا من سطح الأرض بقطر داخلي ١٤ مترا منفذة بتراكيب الأحجار الصناعية داخليا وخارجيا ويعلوها هلال نحاسي بارتفاع ٦ أمتار .
- القباب الركنية : وهي أربع قباب منفذة بالأحجار الصناعية ويعلوها ٤ أهلة بارتفاع ٣ أمتار
- القـباب المسـتعارة : وهي ٨ قباب منها ٤ تحت القباب الركنية و ٤ أخري تتوسط القباب الركنـية وتسمي " سماوية " ، ولقد اتخذه الإمام أبي العباس المرسي مجمعا لمحبيه فآثره بالإقامة واتخذ من هذا الجامع مدرسة لبث تعاليمه ومبادئه بين طلابه ومريديه .

أبو العباس المرسي

يظـل ميدان المساجد ودرته القابع في وسطه " مسجد أبو العباس المرسي" الذي بناه المهندس الإيطالي { ماريو رسو} وأشهر إسلامه بصحن المسجد بعد إتمام بنائه .

هـو المـنارة العالمية وأحد معالم الإسكندرية التي ظلت تحتفظ به كأهم أثر من سيرة عالمها الأشهر الذي عاش طوال حياته معلما وتجلت آيات الله فيه وأفاض عليه الله بالعلم الذي جعله لعامة الناس مرشدا ودليلا وللعلماء الأتقياء قطبا ودامت إقامته في الإسكندرية فكان خيرا وبركة علي أهل هذا الثغر .

لقـد كـان أبـو العباس رجلا فاضلا ظل يجاهد بنفسه ويخدم دينه أكثر من ٤٠ عاما وهـدي الله بـه كثيرا من الناس في الإسكندرية إلي سبل الخير وهو سليل أسرة عريقة النسب فجـده الأول " سـعد بن عبادة " من أنصار رسول الله في الجزيرة العربية ، وكان أبو العباس يكنـي بشـهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي ، والذي ولـد سـنة ٦١٦هـ في بلدة "مرسيه " شرق الأندلس وقضي فيها طفولته ولما بلغ عمره ٢٤ عامـا ٦٤٠ هـ عزم والده " عمر بن علي " علي الحج فاصطحبه وأمه وأخاه وركبوا سـفينة اشـتدت علـيها الرياح وهاجت الأمواج عند ساحل { بونه } بتونس فغرقت السفينة واستشهد والده ووالدته ونجا أبو العباس وأخوه .

وتأتـي المـرحلة الأولـي وتشتمل علي الأربعين سنة الأولي من حياته وكانت كلها اسـتعداد فطري وذكاء مبكر في ظل أسرة عريقة الأصل ثم نكبات متواليات ثم لقاؤه مع أستاذه "أبـو الحسـن الشـاذلي " في تونس ، والمرحلة الثانية وهي الثلاثون سنة الباقية من حياته وكانـت تشـتمل علـي الأسـتاذية الناضجة والإمامة الراسخة وقد أرسلت أشعتها القوية من الإسكندرية إلي شتي بقاع العالم الإسلامي .*

لـم يكن بعيدا علي " أبي العباس "أن يفكر كغيره من أهل مرسيه والأندلس عامة في الرحيل إلي مصر ولا سيما الإسكندرية لتلقي العلم والاتصال بالأندلسيين الذين سـبقوه إليها .. ومنذ أن وصل " ابو العباس المرسي " إلي الإسكندرية مع أسـتاذه أبو الحسن الشاذلي قادمين من تونس فرارا من الفتنة التي أضرم نارها " ابن البراء" قاضي تونس بدأ أبو العباس في حفظ القـرآن ودرس مـبادئ الكتابة والحساب وطاف مع معلمه الشاذلي أرجاء الأراضي المصرية

* مقتطفات من حديث رجب عبد الجواد عبود إمام مسجد أبو العباس ، جريدة الأخبار ، ٢٠٠٣/١١/١٢



يعظــون ويرشدون في دمنهور وطنطا واشمون وبنها وأخميم وقوص وغيرها ٠٠ أما القاهرة فقــد شهدت له بالعلم حيث كان يقبل علي حضــور مجالس علمه أكابر العلماء والفقهاء وعلي رأســهم سلطان العلماء "العز بن عبد السلام " ومن هنا بدأ انطلاقته وأخذ نجمه يلمع في سماء الإســكندرية وجلــس لإعطاء دروس العلم في جامع العطارين ، وكانت الإسكندرية في المائة ســنة التي سبقت "أبو الحسن الشاذلي" كعبة القصاد من المشارق والمغارب وبرزت في سمائها مــنابر العلــم والمعرفة علي أيدي " أبي بكر الطرطوش ، والرازي ، وابن الخطاب ، والحافظ الســلفي " وكانت هذه الحقبة من الزمان بمثابة العصر الذهبي للعلوم الإسلامية رفعت منارتها الإســكندرية دون غــيرها مــن المدائن والأمصار من فقه ولغة وحديث وتفسير ٠٠ أما القرن الســابع الذي برز فيه " أبو العباس " بالإسكندرية فقد كان امتدادا لازدهار الحركة الفكرية بها ومــن أشــهر أعلامها آن ذاك "ابن النطروني ، والمنذري ، وابن الحاجب ، وياقوت العرش ، والشــاطبي " كان مبدأه في الحياة { من عرف نفسه عرف ربه } وقد كان هذا المبدأ هو الدرة المضيئة له علي الطريق وله في نفسه أداء واشعاعات ملكت منه حسه وعقله وقلبه وخرج من الهدي النبوي الشريف باثنتين ٠٠ الأولي من عرف نفسه بما هي عليه من الذل والعجز عرف الله تعالي بعزته وقدرته وغناه سبحانه وتعالي ٠٠ والثاني أن من عرف نفسه فقد دل ذلك منه علي أنه عرف الله من قبل ٠

كان " أبو العباس " في معاملته مع الناس مثلا أعلي للرجل السمح الذي يشف ظاهره عــن صــفاء وباطــنه وما في قلبه علي لسانه ولا يخالف قوله عمله ، كان شديد التحرز من حقــوق العــباد ، وإذا كــان له حق أحسن الاقتضاء منقطعا عن أبناء الدنيا وكان لا يحب قطع الحديــث مع أحد ، ولا يعوق تلاميذه عن الدخول عليه إذا جاءوه وكان يكرم الفقهاء والعلماء والطلــبة ويحــترم ولاة الأمر ويقبل الهدية من صاحبها بقبول حسن وكان يكره أن يري أحدا يــرتدي ثوبا مهلهلا ليقال عنه ولي من أولياء الله الصالحين ويكره الطمع وينهي عنه وكان لا يحب من الشيوخ خشونتهم وغلظتهم مع أولادهم ٠

كمــا أن الخلــوة التي كان يلتزمها "أبو العباس " وهو المعتدل في كل مظاهر سلوكه كانــت له أوقــات من الليل أو النهار يخلو فيها إلي البحر أحيانا أو إلي الليل في سكونه أحيانا أخــري ٠٠ وكثيرا ما كان يتجرد في المواسم ويتعرض لنفحات الله في رمضان ولا سيما ليلة القــدر فكان يحييها بالدعاء والذكر ويدعو فيها بمقدار ما يدعو كل ليلة ثلاث مرات وإقرار منه بفضل الله عليه كان يقول أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القــدر ٠



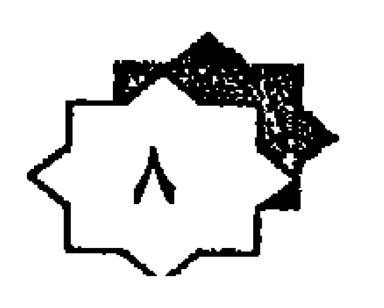
ولم يكتب " أبو العباس " كتابا فقد قيل له لم لا تضع الكتب في التوعية والفقه ؟ فقال كتبـــي هم أصحابي أي من يبلغ عني هم أصحابي والسبب في ذلك أن علوم التحقيق لا يحتملها عقول عموم الخلق ، ولكن كتب عنه تلميذه المقرب "ابن عطاء الله السكندري " الذي عاش معه طـيلة ١٢ عامـــا ٠٠ وكان أحب دعاء إلي قلبه {اللهم كن بنا رءوفا وعلينا عطوفا ٠٠ وخذ بأيدينا إليك ٠٠ أخذ الكرام عليك ٠٠ وقومنا إذا إعوججنا ٠٠واعنا إذا استقمنا ٠٠وخذ بأيدينا كلمـــا عـــثرنا ٠٠وكن لنا حيثما كنا} وكان لصاحب هذا المسجد في الإسكندرية آثار باقية علي الـــزمان حفظتها الكتب قديما وحديثا ، وصانتها من الضياع ، وكان أهــل الإسكندرية يتطلعون فـــي لهفـــة وشــــوق إلـــي الاحتفال بذكري "أبي العباس" ، وأخذت الطوائف والهيئات ينافس بعضـــها بعضـــا في أداء ما يجب عليها نحو عالم الإسكندرية الذي تخرج علي يديه المئات في المعرفة والأخلاق ٠

مــولـــده :

كـــان مولده في " مرسيه " سنة ٦١٦ هـــ ـــ ١٢١٩ م ـــ ونشأ بها وهي إحدي مدن الاندلس وتسمي بالأسبانية " مورسا " وهي كلمة أصلها يوناني مأخوذة من "مورتيا " ومعناها " الآس" وهـــي شــــجيرة كانت منســــوبة عند الأقدمين إلي الزهرة ، وهذه المدينة اختطهـــا "عبد الرحمن الناصر الأموي " من بلاد { بلنسيه } وإليها نسب "أبو العباس" فقيل له " المرس"

وقـــد اقترن والده " عمر بن علي " بالسيدة " فاطمة ابنة الشيخ عبد الرحمن المالقي" وهـــو من الرجال الصالحين وفي ظل هذه البيئة الصالحة التي تسري فيها روائح الدين الحنيف تهيأت لخلفهم مقومات التربية الحسنة والنشأة الدينية ٠٠ فلقي الولد الأكبر " أبو عبد الله جمال الديـــن محمـــد وأخـــوه أبو العباس " العناية الكاملة فحرص أبوهما علي تعليمـهما أصول الدين وتحفـــيظهما كـــتاب الله الكريم ٠٠ فلما بلغ أبو العباس سن التعليم دفعه والده إلي مؤدبه علي نهـــج ما كان يتبعه آباء هذا الزمان ٠٠ فتعلم القراءة والكتابة والخط والحساب فأظهر تفوقا ، ولقيـــت المـــبادئ الدينـــية الأرض الطيبة فيه فازدهرت معارف هذا الصبي منذ نشأته وتفتقت مواهـــبه ومـــيله للتصـــوف وهو لا يزال صبيا حتي قال عن نفسه " كنت وأنا صبي عند كتاب المؤدب وجاء رجل فوجدني أكتب في لوح فقال : الصوفي لا يسود بياضا فقلت له : ليس الأمر كمـــا زعمـــت ولكن لا يسود بياض الصحائف بسواد الذنوب وقال مرة : عمل إلي جانب دارنا خـــيال الســـتار وأنا إذ ذاك صبي فحضرته فلما أصبحت أتيت إلي المؤدب وكان من أولياء الله تعالي فانشد حين رآني :

ياناظرا صور الخيال تعجبا   وهو الخيال بعينه لو أبصرا



اشتغاله بالتجارة :

ولما اشتد " أبو العباس " وقوي ساعده ووضحت فيه علائم النبوغ والنجابة ألحقه والده " عمر بن علي " في أعمال تجارته التي أقامها في مرسيه مع أخيه الأكبر " أبي عبد الله جمال الدين محمد " وذلك لاستغلال كوامن النباهة فيه والانتفاع بمواهبه في تجارته فصار يرسله صحبة أخيه إلي البلاد ليمارس الأعمال التجارية ويتدرب علي شئونها ويزاول أمور الأخذ والعطاء وطرق التجارة في الأسواق وأساليب التعامل فيها .

وقد كان " أبو العباس " ماهرا في تجارته مخلصا لها فأمدته بكافة وسائل النجاح فيها وصقلته مدرسة الحياة ودرس فيها فنون المعاملات وأخلاق الناس المتباينة ووسائل التفاهم مع العقول المتفاوته ومكنته قريحته النفاذه إلي معرفة الاتجاهات الإنسانية والوقوف علي كوامن الجماعات وسبر اغوار القلوب وتبين هواجس النفوس والشعور بالأحاسيس المختلفة التي يعيش فها الناس .

فما بزغت شمس البرابعة والعشرين علي هذا الشاب حتي تفتحت زاهرات فكره ، ووضحت معالمه ووصل عقد طور النضوج والكمال كل أولئك امتزجت بعناصر الاستقامة والأمانة ومعرفة الله والخوف منه فظهرت آثارها بركات في أعمال أبيه فآثره بحبه وعطفه علي أخيه .

أسباب انتقاله من موطنه :

كانت سنة ٦٤٠ هـ - ١٢٤٥م بمثابة نقطة التحول في حياة " أبي العباس " إذ وجد نفسه وهو لا يزال في هذه السن المبكرة في ظروف تحتم عليه الكفاح في سبيل الحياة فقد اعتزم والده في هذه السنة الحج إلي بيت الله الحرام وصحب معه ولديه " أبا عبد الله وأبا العباس " وأمهما " فاطمة فركبوا البحر عن طريق الجزائر ، حتي إذا كانوا علي مقربة من شاطئ بونه هبت عليهم ريح عاصفة اغرقت المركب بمن فيها .. غير أن عناية الله أدركت "أبا العباس وأخاه " فأنجاهما الله من الغرق فقصدا تونس .. فأما الأخ الأكبر فاتجه نحو الأعمال التجارية وصار يتنقل في الأسواق مباشرا الأخذ والعطاء علي قدر ما سمحت له الأحوال .

وأما " أحمد " فكان لاتجاهاته الدينية في رسم وتحديد الطريق الذي يسلكه .. فأراد أن يستغل مواهبه بالاستزادة من مناهل العلم فاتخذ له مكتبا في زاوية الفقيه محرز بن خلف وصار يعلم الصبية مبادئ القراءة والكتابة والخط والحساب وتحفيظ القرآن لأن مناهج التعليم الأولية كانت لا تتعدي هذه العلوم في ذلك العصر .

الإمام أبو العباس في سطور :

- هو أحمد بن عمر بن علي الملقب بشهاب الدين المكني بأبي العباس المرسي نسبة إلي مدينة مرسية ببلاد الأندلس ٠
- المالكي مذهبا الأشعري عقيدة
- والده تاجر وأمه " فاطمة بنت الشيخ عبد الرحمن المالقي" نسبة إلي مدينة مالقة ببلاد الأندلس ٠
- ولد سنة (٦١٦ هـ ـ ١٢١٩ م) ببلدة مرسية وقضي فيها طفولته ولما بلغ اشتغل مع أبيه في التجارة وتفوق ودرس من خلالها طبيعة النفس البشرية ٠
- تلقي في كتاب الشيخ " مؤدب" المرحلة الابتدائية وأتمها علي يد شيخه وأستاذه الشاذلي في المرحلة الأكاديمية ٠
- مات والديه غرقا في رحلة إلي بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج سنة ٦٤٠ هـ علي سواحل تونس عند بلدة (بونة) ونجا هو وشقيقه أبو عبد الله جمال الدين محمد

أقام في تونس وافتتح مدرسة لتعليم علوم الدين وتحفيظ القرآن العظيم والتقي بأستاذه "أبي الحسن الشاذلي " علي سفح جبل زغوان وذاع صيتهما ثم كانت فتنة القاضي "أبي القاسم بن البراء" فارتحلا من تونس إلي مصر سنة ٦٤٢ هـ

نشر الدعوة في القاهرة :

لما تمت خلافة أبي العباس استأذن شيخه في القيام بأمر الدعوة بالقاهرة باعتبارها معقل العلوم والمعارف ومهبط أهل بيت رسول الله ﷺ واتخذ من المدرسة الكاملية بالقاهرة مكانا لإلقاء دروسه ، وقد كانت القاهرة وقت ذاك غاصة بفطاحل الفقهاء وأكابر العلماء وعظماء الأئمة مثال الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الإسلام والشيخ تقي الدين بن رفيق القشيري القوصي وغيرهم من علماء الحديث المشهورين ٠

وقد وجد أبو العباس المرسي في القاهرة مجمعا لمحبيه ومقصدا لمريديه فآثرها بالإقامة واتخذ من جامع الحاكم بالمقسي " جامع أولاد عنان " بمحطة القاهرة ـ مدرسة لبث تعاليمه ومبادئه بين الطلاب والمريدين كما جعله نزلا ومثوي ٠

وفي سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) خرج الشيخ أبو الحسن الشاذلي للحج ـ كان يحج كل سنة ومعه "أبو العباس المرسي" وتوفي " أبو الحسن " في حميثرا وسط الطريق الصحراوي بين قنا بصعيد مصر والقصير علي ساحل البحر الأحمر ، ودفن هناك ولا يزال قبره معروفا للآن ٠



قيام الشيخ أبي العباس بالدعوة بمفرده :

ولما رجع أبو العباس إلي مصر قام بالمضي في إتمام الرسالة التي ألقيت علي عاتقه في نشر الطريقة الشاذلية العصماء .. هذا بجانب عمله الأصلي كعالم ومرشد ومهذب لطلابه ومريديه متنقلا بين مدن الأقاليم علي نمط ما كان يفعله شيخه ، وكان من عادته إذا جاء الصيف رحل إلي القاهرة ونزل بجامع الحاكم بالمقسي "جامع أولاد عنان" وأخذ يتنقل بينه وبين جامع " عمرو بن العاص " بالفسطاط { مصر القديمة } حتي إذا ما حل الشتاء عاد إلي الإسكندرية ، وكان أكثر من يحضر دروسه العلماء لاسيما إذا أخذ في شرح " الرسالة القشيرية " في التصوف للإمام أبي القاسم القشيري النسابوري لأنه كان يفيض فيها من الأسرار ما يملك النفوس ويعرض دقائق ما ورد فيها من أحوال التصوف والمتصوفين عرضا يأخذ الألباب حتي كثر اتباعه ودخل في الطريق خلق كثير .

وظل " أبو العباس " حاملا لواء الدعوة من بعد شيخه ما يقرب من الثلاثين عاما أدي رسالته فيها خير أداء إلي أن وافاه القدر المحتوم فانتقل إلي جوار ربه في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٥هـ (١٢٨٧م) عن ما يقرب من السبعين عاما .

شخصية الإمام أبي العباس المرسي :

العلماء ورثة الأنبياء .. هكذا كان يقول رسولنا الكريم ، وإمامنا "أبو العباس المرسي " ورث رسالته عن استحقاق وكان جديرا بأن يضطلع بأعبائها وينهض بمسئولياتها بما اجتباه ربه من صفات أعدته وأهلته للقيام بهذه المهام من غير ضجر ولا سأم بل كان صبورا بلغ الذروة في صبره وبلغ في جلده مبلغا قل أن نشهد له نظيرا أو نري له مثيلا فقد كان يشكو أمراضا كثيرة لا تحتملها الجبال .. ومع ذلك فقد كان يعقد حلقات درسه ولا يتأوه حين جلوسه ولا يعلم الجالس عنده أن به شيئا من الأمراض ولم تكن تلك الأمراض قد أورثته صفرة أو شحوبا في وجهه ولا نحولا في بدنه ــ كان يقول لأصحابه : " لا تنظروا إلي حمره وجهي فحمرة وجهي من قلبي " .. ودخل عليه " ابن عطاء الله " فوجد به ألما فقال له : " أظنك ياسيدي ضعيفا " فقال رضي الله عنه " الضعيف من لا إيمان له ولا تقوي "

وإذا كان الصبر من الصفات الموروثة عن الأنبياء فكذلك الزهد الذي هو شعار الصوفية القديم ، والزهد الذي يعنيه أهل الصوفية " هو زهد معتدل متوازن لا تطرف فيه ولا شذوذ ولا تكلف " وذلك لأنهم يستمدون تعاليمهم من منابع إسلامية أصيلة والإسلام لا يعرف الزهد المطلق ولا رهبانية في الإسلام بعد أن دعا إلي الأخذ بأسباب الدنيا والعمل لأجل الآخرة استجابة لدواعي الروح والمادة معا كوحدة لا انفصام فيها .

لهذا كان من طريقته رضي الله عنه الحرص علي الظهور أمام الناس بالمظهر اللائق مع عدم التكلف فكان يلبس أفخر الثياب وأثمنها وكان بادي النظافة والوسامة وكان يتطيب وكان كثير الوقار ظاهر الهيبة ومع هذا كان حسن السمت مربوع القامة أبيض الوجه تام الخلق جميل المحيا ، كث اللحية ، ولهذا كان يستنكر علي أهل الطريق لبس الزي والمرقعات مستندا إلي قوله تعالي : { يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين } الآيتين ٣١ ، ٣٢ من سورة الأعراف .

وكان من زهده رضي الله عنه أنه خرج من الدنيا وما وضع حجرا علي حجر ولا اتخذ بستانا ولا افتتح سببا من أسباب الدنيا ولا خلف وراءه ورقة .

وقال أبو العباس : رأيت " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه في المنام فقلت يا أمير المؤمنين ما علامة حب الدنيا ؟ قال : خوف المذمة وحب الثناء .. فإذا كان علامة حبها خوف المذمة وحب الثناء فعلامة الزهد فيها وبغضها أن لا يخاف المذمة ولا يحب الثناء ، وحدث أبو العباس أن شيخه أبا الحسن قال له : " إذا أردت أن تكون من أصحابي فلا تسألن أحدا شيئا " فمكثت علي ذلك سنه .. ثم قال : إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تقبل من أحد شيئا .. فكان إذا اشتد بي الوقت أخرج إلي ساحل البحر بالإسكندرية فالتقط ما يرميه البحر بالساحل من القمح الذي يسقط من المراكب عند نقله .

وكان أبو العباس لا يأكل طعاما عني له ولا من طعام أعلم به قبل أن يأتيه ، وكان لا يدعو للمحسن حتي يخرج من مجلسه فيدعو له بظهر الغيب .. وكان إذا أهدي له شئ يسير تلقاه ببشاشة وقبول وإذا أهدي إليه شئ كثير تلقاه بعزة نفس واظهار الغني عنه .

ومن حكم أبي العباس : الزاهد جاء من الدنيا إلي الآخرة والعارف جاء من الآخرة إلي الدنيا ..والزاهد غريب في الدنيا لأن الآخره وطنه والعارف غريب في الآخرة فإنه عند الله .

حياته العلمية : [*]

يعتبر الإمام أبو العباس من علماء الإسلام وقطبا من أقطاب الصوفية الأجلاء الذين بددت أنوارهم حجب الظلام فكانوا مصابيح الهداية وشموس الرشاد فله القلب الخالص .. والأذن الداعية والنفس الطاهرة والعقل الراسخ كلها أعدته لأن يكون أهلا لفيض الإلهامات الربانية والعلوم الإلهية .. فضرب بسهم

[*] كتاب مصلحة الاستعلامات في الستينيات



صـــائب فــي شـــتي ميادينها فأجاد علوم التفسير بعد أن استوعب كتاب الله وملأ به صدره وأحــاط بكافــة علــوم الفقــه والحديــث والأصول والأدب ومبادئ السلوك والأخلاق والمنطق والفلسفة وعلم النفس ٠

وحسبنا دليلا أن الإمام أبو العباس لم يأل جهدا في تكريس حياته ووقفها علي خدمة العلــم وإفــادة طالبيه والشواهد تؤيد انقطاعه للدرس والتلقين انقطاعا تاما لم يدخر معه وقتا ليــترك وراءه كتابا يحمل اسمه أو مؤلفا يخلد ذكره جريا علي ما كان من علماء عصره وكان يقــول قولــه المأثور : " إن علوم هذه الطائفة علوم تحقيق ، وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عوام الخلق فكتبي قلوب أصحابي " وكذلك كان شيخه الإمام " أبو الحسن الشاذلي" ٠

ولقــد لمــع نجمــه في شتي العلوم وكان ابن عطاء الله السكندري يقول أنه قد اتقن علومــا كثيرة وأخذ بنصيب وافر منها بدرجة أن المتحدث إليه في علم من هذه العلوم ينصرف من بين يديه وهو يظن أنه لا يحسن إلا ذلك العلم الذي كان يتحدث فيه

فــلا غرابة إذن أن يتبوأ أبو العباس عرش الإمامة في عصره ولا يجد شيخه الإمام أبــو الحســن من يضطلع بالخلافة من بعده وينهض بأعباء الطريقة غيره ٠٠ فيتركه يتصدر مجــالس العلــم والتلقيــن ويجلس إليه العلماء والفقهاء يسمعون وينزلون عند قوله ورأيه ، وكفــي بــه فخرا أن يتخرج علي يديه كبار الأئمة الأقطاب كالبوصيري وياقوت العرشي وتاج الدين أبي العباس أحمد " ابن عطاء السكندري " الذي كان يقول : ما كنت تجلس بين يدي " أبي العــباس " إلا والرعب يملك قلبك ، وكل من هؤلاء الثلاثة يعتبر حجة في العلم ومنبعا لا ينضب من المعرفة والدراية ٠

<u>فلسفته وتصوفه</u> :

كــان " أبو العباس " من المفكرين المحيطين بالشريعة واسع المعرفة بمذاهب الفلسفة الإســلامية التــي أخذها عن شيخه "أبي الحسن الشاذلي" ٠٠ فأمدته هذه المعرفة بمادة خصبة صــاغتها عبقريته مبادئ حديثه وحكما مبتكرة لا تخلو من النغمات الفلسفية والعلمية وتتمشي مع أصول الشريعة الإسلامية ٠

ومــن الحكــم والمأثورات تحليلا في لفظ الجلالة مثلا ، متبعا منطقا طريفا مبتكرا لم يسبقه فيه فيقــول : كل اسم من أسماء الله تعالي إذا اسقطت منه حرفا اذهبت دلالته علي الله كالعليم ، والقادر ، والرحيم وغير ذلك من أسمائه الحسني إلا اسم الله فإنك إن أسقطت الألف بقـــي " لله " وإذا أسقطت اللام الثانية بقي " هو " وهو النهاية في الإشارة ، وقال : جميــع



أسماء الله للتخلق إلا اسمه " الله " فإنه للتعلق فليكن ذكرك : " الله" فإن هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساطة وثمرة ، فبساطة العلم وثمرته النور ، والنور ليس مقصودا لنفسه وإنما يقع به الكشف والبيان .

وتتجلى دقة دراسته في التعبير عن أحوال الناس فيقول : صلاح العبد في ثلاثة أشياء : معرفة الله ، ومعرفة النفس ، ومعرفة الدنيا .. فمن عرف الله خاف منه ، ومن عرف النفس تواضع لعباد الله ، ومن عرف الدنيا زهد فيها .

وله من التشبيهات الجميلة والمجاز الغريب والتخاريج الفريدة ما يأخذ بالألباب ويدهش العقول .. فيتكلم في حالات النفس وخلجاتها فيقول رضي الله عنه : " إن إبراهيم سمي فتي لأنه كسر الأصنام " فهو الفتي الخليل عليه السلام وجد أصناما حسية فكسرها ، وأنت لك أصنام معنوية فإن كسرتها كنت فتي ولك أصنام خمسة هي :

النفس ، والهوي ، والشيطان ، والشهوة ، والدنيا

الفتوة الإيمان والهداية قال الله تعالي : { إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدي }

آية ١٣ سورة الكهف

تفسيره لآيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية :

لم تفارق – بالطبع – النزعات الفلسفية والاتجاهات الصوفية الإمام أبا العباس المرسي في تفسيره لآيات القرآن الكريم ، فحفلت كلها بالمخارج الحسنة التي تنم عن توفيق في الفهم وإمعان في استيعاب الآيات وهو ما يمكن أن نستشفه من شرحه للآيات الآتية :

١- قال في قوله تعالي في سورة الفاتحة { الحمد لله رب العالمين } علم الله سبحانه وتعالي عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه في أزله ، فلما خلق الخلق اقتضي منهم أن يحمدوه بحمده فقال : { الحمد لله رب العالمين } أي قولوا : { الحمد لله رب العالمين } أي أن الحمد الذي حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينبغي أن يكون لغيره فعلي هذا يكون واللام عهدتين .

٢- وقال في قوله تعالي : { إياك نعبد وإياك نستعين } إياك نعبد شريعة وإياك نستعين حقيقة – إياك نعبد إسلاما وإياك نستعين إحسانا – إياك نعبد عبادة وإياك نستعين عبودية – إياك نعبد فرقا وإياك نستعين جمعا ... الخ ، وقال في قوله تعالي : {سماعون للكذب أكالون للسحت } آية ٤٥ سورة المائدة .

هذه الآية نزلت في اليهود ومن كان من فقراء هذا الزمان مؤثرا للسماع لهواه آكلا مما حرمه مولاه فهي نزعة يهودية لأن القوال يذكر العشق وما هو بعاشق – والمحبة وما هو بمحب –

والوجد وما هو بمتواجد ، فالقوال يقول الكذب ، والمستمع ساع له، ومن أكل من الفقراء طعام الظلمة حين يدعي إلي السماع فهو يصدق عليه القول لله ، سماعون للكذب أكالون للسحت "

<u>تفسيره للأحاديث النبوية</u> :

وعلـــي هذه الوتيرة وهذا المنوال يسترسل هذا العالم الكبير في شرح بعض الأحاديث النبوية التي تعرض لها فيقول : قال رسول الله ﷺ : " يسروا ولا تعسروا " فيقول في ذلك : أي دلوهـــم علــي الله ولا تدلوهم علي غيره ٠٠ فإن من دلك علي الدنيا فقد غرك ومن دلك علي الأعمال فقد أتعبك ومن دلك علي الله فقد نصحك

وقال في قول رسول الله ﷺ : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " ٠٠ أي ولا افتخر بالسيادة وإنما افتخر بالعبودية لله سبحانه وتعالي ٠

وكان كثيرا ما ينشد :

ياعمرو نادني عبد زهـــراء	يعرفه السامع الرائـــــي
لا تدعني الابيـــا عبـــدها	فإنه أشـــرف أسمائـــي

<u>من أشـعاره</u> :

وإذا أردت من الســـلوك أجلـــه

فالزهد في الدنيا مع الســمت الحســـن

واعبد الهك حيث كنت علي الرضي

تحظي بما قد نالــــه أهــــل المنن

وكتب لشيخه شهاب الدين أحمد أبي الحسن الشاذلي يقول :

سلام علي من علا نـــوره	علينا ففــي مثله يرغـــب
كريـم مناقبـــه جمـــة	علي الحــق يبني ولا يرهب
ولم لا وخير الـــوري جـده	له منه ســيف به يضــرب

إلـــي أن يقـــول :

يزيد علي القــوم علمــا بــه	يفوق الإمام ولا يســـلب
لقد فتح الله في وقتــــه	قلوبا عن الحق لا تحجـــب
ويشــقي به حاسد جاحـــد	بعيد عـــن الحق مستصعـب
وإني مقــر بتخصيصـــه	فمن مثله في الوري يصحـب
ومنا عليكم ســـلام بـــه	نلاقي العـــداة ولا نغلـــب



وكـــان رضي الله عنه يري في العمل عبادة من خير العبادات بل كان يري كما يري أستاذه أبو الحســـن الشـــاذلي أن حركات الجسم وهو يؤدي عملا من الأعمال التي تزيد في الإنتاج وتنفع الـــناس إنمـــا هـــي نوع من أنواع التسبيح لله سبحانه وتعالي وإذا كان أستاذه الشيخ الشاذلي يقـــول: " عليكم بالسبب أي العمل والسعي وراء الرزق ، وليجعل أحدكم مكوكه سبحته تحريك يده في الخياطة سبحته .

وقـــال لتلمـــيذه الوفي ابن عطاء الله السكندري حين أراد أن يترك عمله ويصحبه: لا ولكن أمكث فيما أقامه الله لك وما قسم لك علي أيدينا فهو واصل إليك .

<u>مســجده</u> :

أقـــام " أبـــو العباس المرسي " في الإسكندرية ثلاث وأربعين سنة ينشر العلم ويهذب الـــنفوس ويضرب المثل بورعه وتقواه إلي أن انتقل إلي جوار ربه في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٥هـــ ودفن في الإسكندرية في مقبرة باب البحر إلي أن كانت سنة ٧٠٦هـــ حيـــن رأي الشيخ زين الدين بن القطان كبير تجار الإسكندرية فبني عليه مسجدا وقد خضع هذا المسجد لتطورات كثيرة حيث أعاد بناءه الأمير قجاش الاسحاقي الظاهري والي الإسكندرية في أواخر القرن التاسع الهجري وبني لنفسه قبرا فيه .

وفـــي ســـنة ١٠٠٥ جدد بناءه الشيخ " أبو العباس السنفي" ودفن فيه بعد وفاته وفي سنة ١١٨٩ زار الإسكندرية الشيخ " أبو الحسن علي بن عبد الله المعزي " وجدد معظم أجزاء المسجد ووسع بعض نواحيه .

وفـــي سنة ١٢٨٠ حدد أحمد الدخاخني شيخ طائفة البنائين واوقف عليه أوقافا كثيرة وفـــي ســـنة ١٩٢٧ أعـــدت وزارة الأوقاف مشروعا لإعادة بناء المسجد وإنشاء ميدان فسيح أمامه ووضعت الأسس للبناء الجديد في أوائل سنة ١٩٢٩ وتم المسجد في سنة ١٩٤٤ فأصبح أجمل مساجد المدينة .

ولقد كان مسجد أبي العباس المرسي مركز تجمع للمظاهرات الشعبية الثائرة التي قام به السكندريون خلال ثورة سنة ١٩١٩ إذ كانت تخرج منه مخترقة أحياء المدينة كما اتخذ منه رجال الدين الإسلامي والمسيحي ملتقي يجتمعان عنده ويبثان من علي منبره الدعوة إلي الكفاح والتضحية في سبيل الحرية والعدالة .

لقـــد كـــان بدايـــة الأمر قبر الإمام أبي العباس المرسي فقط في نفس الموضع والمكان المدفـــون به الآن وكان القبر يزار من عامة الناس وخواصهم عرفانا بصلاحه ، ثم تم إنشاء مســـجد صغير بجانب القبر لإقامة الصلوات سنة ٧٠٦ هـــ



وفـــي سنة (١١٨٩هـــ - ١٧٧٥م) زار ضريح الإمام أبي العباس المرسي أحد سراة المغاربة في طريقه إلي الحج فشاهد ضيق المسجد وبناءه المتصدع فعمد إلي إصلاح رقعته من ناحــية القبلة وبقي المزار موضع العناية والمسجد موضع الرعاية، وكان في عهد الملك فؤاد الأول حريصـــا علـــي زيـــارة المكان والصلاة فيه وأمر بالعناية بالمكان بما يتناسب مع مكانة صاحبه وفي مظهر عظيم يتناسب ككل مع عظمة العصر الإسلامي وأعلامه الصلحاء ، ومع ما يتناســب مـــع عراقة المدينة في ماضيها البعيد وحاضرها السعيد وأمر بتنفيذ مشروع لميدان فسيح سعته (٤٣٤٠٠م٢) يسمي ميدان المساجد بحيث يضم هذا المسجد الكبير لأبي العباس المرســـي والمســـاجد المحيطة به (مسجد البوصيري ـــ مسجد ياقوت العرشي ـــ مسجد نصر الدين) وتم تخطيط المشروع علي الآتــــي :

* بقاء الضريح في موضعـــــه ٠٠ وقد كانت مساحة أرض المسجد ٣٠٠ م٢ وكان طول كل ضلع من أضلاعه ٢٢ مترا ، و يبلغ إرتفاع حوائط المسجد ٢٣ مترا ويبلغ ارتفاع المئذنة ٧٣ مـــترا وتقـــع القـــبلة والمئذنة بالضلع القبلي ٠٠ وأعمدة المسجد ستة عشر عمودا من حجر الجرانيت من محاجر بالينو بإيطاليا ، ويتكون كل عمود من قطعة واحدة مع قاعدته وتاجه وهو علـــي شكل مثمن قطره ٨٥ سم وارتفاعه ٨ر٦٠ م ، ويبلغ ارتفاع سقف المسجد من الداخل ١٧ر٢٠م وتتوســـطه شخشيخة ترتفع ٢٤ مترا عن مستوي أرض المسجد ويحيط بالشخشيخة أربـــع قـــباب ويـــبلغ قطر كل قبة خمسة أمتار ولها سقفان أحدهما داخلي مرتفع عن المسجد بمقـــدار ٢٢ مـــترا ويعلـــوه الثانـــي بارتفاع ١١ مترا وقطر دائرته ٧ر٥ مترا ٠٠ أرضيات المسجد من الرخام الأبيض والجزء السفلي من الحوائط ومن الداخل مغطي بالموزايكو بارتفاع ٥ر٦٠م ٠٠ أما الجزء العلوي منها فمكسو بالحجر الصناعي ٠

* المســـجد يكـــون له بابـــان رئيسيان يقع البحري منهما علي الميدان وقبالته الشارع الممتد إنشاؤه من هذا المكان إلي رأس التين [١]

* أما الباب الثاني فهو في الجانب الشرقي المطلع علي الميدان أيضا [٢]

وقد نقشت الأسقف بزخارف عربية ، وصنعت أبواب المسجد ومنبره ونوافذه من أخشاب التك والليمون والجوز بتعاشيق وحليات دقيقة الصنع ، وقد أتمت وزارة الأوقاف بناء المسجد

1- الباب الرئيسي يطل علي ميدان المساجد وشارع السيد محمد كريم

2- الباب الثاني وهو مدخل النساء ويطل علي مشروعا لمساجد ٠



فــي أوائــل ســنة ١٩٤٣م وبلــغ مجموع تكاليفه ١٤٠٠٠٠ جنيه (مائة وأربعون ألف جنيه مصري) ، ويتسع المسجد لثلاثة آلاف مصلي [1] .

بعــد حــياة حافلة بالعطاء المحمود توفي الإمام " أبو العباس المرسي " (٦٨٦هـ - ١٢٨٧م) ودفــن بــرباط (سوار ــ أطكين) بمنطقة مقبرة المغاوري ــ خارج باب البحر في المــنطقة الواقعــة برأس التين خارج باب البحر عند (باب الغدر) وهو يقابل باب البحر وكان يســتخدم فقــط فــي أوقــات الحصار .. كما أن (رباط سوار ــ اطكين) كان ملتقي الصلحاء والأتقــياء .. علمــا بــأن المقــبرة التي دفنوا بها كانت تسمي (مقبرة المنياوين) لأن مقابر الإسكندرية كانت كالآتــي :

* الجــبانة الشــرقية خــارج باب رشيد ، و مقبرة القرافة ودفن بها الطرطوشي والسلفي و مقبرة (الديماس ــ كوم الدكة) ، ومقبرة المنياوين ودفن بها الإمام " أبو العباس المرسي " وتلاميذه ومريديه ومنهم :

- "قجمــاش الإســحاقي الظاهري " والي الإسكندرية " الذي قام بتجديد مسجد الإمام "أبي العــباس المرســي " ســنة ١٤٧٧ م وكان ينسب إلي الملك الظاهر " جقمق" وكان " قجمــاش " نائب الإسكندرية في عصر الأشرف " قايتباي " سنة ٨٧٥ هـ ، وكانت وفاته سنة ١٤٨٧م ودفن بجوار الإمام " أبي العباس المرسي " في القبة البحرية .
- " إبن الحاجب " الإمام الفقيه النحوي " أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكــر يونــس الدوينــي المصري " المُلقب " بابن الحاجب " لأن والده كان جنديا من الأكــراد ، وكــان حاجبا للأمير "عز الدين الصلاحي الكردي " ولد ابن الحاجب ببلدة أســنا بصــعيد مصــر (٥٧٠هـ - ١١٧٥م) ثم رحل إلي دمشق طلبا للعلم ثم قدم الإســكندرية ســنة ٦٢٨هـ وكان من تلامذة ومريدي الإمام "أبي العباس المرسي " وتوفي بالإسكندرية في ٢٦ شوال سنة (٦٤٦هـ - ١٢٤٩ م) ودفن بجوار الإمام " أبي العباس المرسي "
- " ابن أبي شامة " المتوفي سنة (٦٤٦هـ - ١٢٤٩م) ودفن بجوار "أبي العباس "
- "ابــن اللبان " الشيخ " شمس الدين محمد بن اللبان " ولد بدمشق سنة (٦٨٥هـ - ١٢٨٦م) جــاء إلــي الإســكندرية ولازم الشيخ " ياقوت العرشي " وتزوج من ابنته وماتــت فــي حــياته وأوصــي بأن يدفن عند قدميها إحتراما وتعظيما لأبيها "ياقوت

---

[1] - يمكن زيادة عدد المصلين



العرشـــي" توفي بالإسكندرية سنة (٧٤٩هـ - ١٣٤٩ م) ودفن بجوار الإمام "أبي العباس المرسي "

- " شهاب الدين الخزرجي " المتوفي سنة (١٠٠٧ هـ - ١٥٩٩ م) وهو من مريدي " أبو العباس " ودفن بجواره ومن مؤلفاته منظومتان في النحو والعروض .

ثانيا : مكتبة مسجد الإمام أبو العباس المرسي :

١- أوقف الحاج علي شتا أحد أعيان الإسكندرية عددا كبيرا من نفائس الكتب فكانت القاعدة التي أسست عليها المكتبة (١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م)

٢- تم ضم هذه المكتبة إلي مكتبة مشيخة العلماء بسراي حافظ باشا .

٣- نظرا للإهمال المتلاحق فضلا عن عبث الأيدي تبدد هذا التراث العلمي مع الزمن

٤- بعـد بـناء المسجد وتشييده (سنة ١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م) كانت هناك مكتبة حديثة بـالدور الأرضي من المسجد وكانت وزارة الأوقاف ترعاها بالكتب والأمناء إلا أنها كانت كسائر المكتبات العامة .

٥- فـي سـنة ١٩٨٢ صدر قرار وكيل وزارة الأوقاف بمديرية أوقاف الإسكندرية فقد قرر وقام بتنفيذ الآتـــي :

أولا : كان الدور الثاني سندرة لإقامة شعائر الصلاة للنساء فقام بتجهيز مكان بديل لهن أوسع وأسهل علي أن يكون هذا المكان مكتبة للتراث الإسلامي المخطوط والمطبوع

ثانيا : تم إعداد المكان من الناحية الفنية والزخرفية بحيث أصبغ بالطابع الإسلامي المميز

ثالـثا : تـم تجمـيع التراث الإسلامي المتناثر والمتروك من المخطوطات من المساجد الأخري والغير منظم والغير معد للإطلاع .

رابعـا : تم تنظيف المخطوطات وإزالة الأتربة العالقة بها وأمر بتجليدها وتصنيفها وتوصيفها وفهرستها وتدوينها بالسجلات ثم حفظها بالدواليب .

خامسا : تم إعداد المكان جيدا للباحثين والدارسين والرواد من ١٩٨٢/٢/١ وعين أمينا لهذه المكتبة " مكتبة التراث الإسلامي المخطوطة والمطبوعة" .

مسـاحة المكتـبة : طولهـا ١٧ مـتر وعرضـها ٥ أمتار إرتفاعها ٥ر٣ متر .. بها ثلاثة شخشـيخات علي شكل مثمن بكل شخشيخة ثمانية شبابيك للإضاءة ، يتوسط المكتبة محراب للصلاة ، مدخلها من الجانب الخلفي للمسجد ولها سلم خاص .



أبو الحسن الشاذلي :

هو العارف بالله تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الجبار الشريف الإدريسي صاحب الطـريقة الصـوفية الشاذلية المنتشرة في شمال أفريقيا ونزيل الإسكندرية وأستاذ "أبي العباس المرسي "

ولـد عام (٦٩٣ هـ - ١١٩٧م) في عمارة قرية بتونس ، وبدأ في تلقي العلـوم علـي شـيوخ بلده وحفظ القرآن وجوده ، وفي عام ١١٤٢م التقي به الشـيخ "أبو العباس المرسي " في زاويته التي أنشأها عند جبل زغوان فصحبه منذ ذلك الحين ولازمه بقية حياته

وجـاء "أبو الحسن " إلي الإسكندرية عام ١٢٤٤م ونزل عند عامود السواري بظاهر المدينة عند الغروب وكان علي مصر في تلك الفترة الملك الصالح " أيوب " من سلاطين الدولة الأيوبـية ، وبدأ أبو الحسن يلقي الدروس والتفسير ويعظ الناس ويعقد حلقات الذكر في مسجد العطارين " الجيوشي " بالإسكندرية فأقبل عليه الشيوخ والطلبة والمريدين ولقي " أبو الحسن " وصحبه من أهل الثغر كل ترحيب وتكريم ٠

ولـم يـزل بالإسـكندرية إلـي الساعة عدد كبير من أتباع أبو الحسن الشاذلي ومن المتصوفة يتوارثون طريقته ويحفظون تعاليمه ووصاياه ٠

وكانـت سـنة ٦٤٠ هـ هي نقطة التحول في حياة أبي العباس عندما ألقته المقادير علـي سـواحل تونـس التي كانت موطنا للشيخ "أبي الحسن الشاذلي " وتشاء المصادفات أن يكون نزوله علي مقربة من المكان الذي اتخذه الشيخ مقرا له بزاوية علي سفح جبل زغوان ، ويترامـي صـيته إلـي " أبي العباس " فيسعي إليه ليجد فيه ضالته المنشودة ، ويقول " أبو العباس " : لما نزلت بتونس وكنت أتيت من مرسيه وأنا إذ ذاك شاب سمعت بذكر الشيخ " أبي الحسن الشاذلي " فقال لي رجل تمضي بنا إليه ؟ فقلت : حتي استخير الله ٠٠ فنمت تلك الليلة فرأيـت كأني أصعد إلي راس جبل فلما علوت فوقه رأيت هنالك رجلا عليه برنس أخضر وهو جـالس وعـن يميـنه رجل وعن يساره رجل فنظرت إليه فقال : عثرت علي خليفة الزمان ، فانتهيت فلما كان بعد صلاة الصبح جاءني الرجل الذي دعاني إلي زيارة الشيخ فسرت معه ٠٠ فلمـا دخلـت علـيه رأيته بالصفة التي رأيته بها فوق الجبل ، فدهشت فقال لي : عثرت علي خليفة الزمان ٠

مـا اسـمك ؟؟ فذكرت له اسمي ونسبي فقال لي : رفعت إلي منذ سنين ٠٠ وصار يـلازم الشـيخ أبا الحسن ملازمته لظله وارتشف من فيضه واصطبغ بالصبغة التي ميزت أهل الطريق بعد أن تلقي أصولها وتفقه في تعاليمها ٠

ولمـــا رأي الشــيخ أبــو الحسن فيه هذه الاستعدادات وهذه النجابة أحبه وقربه إليه واختصـــه بأسراره ــ وأفضي إليه بما اجتباه الله به من إمدادات ونفحات ومكاشفات وعوارف كما غمره بما أفاء الله عليه من خيرات وبركات حتي قال له قوله المشهور :

"يـــا أبا العباس : والله ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت يا أبا العباس فيك ما في الأولياء وليس في الأولياء ما فيك "

وفي غمرة هذا الحب الخالص وهذه الثقة الغالية نري فيما بعد أن أبا الحسن الشاذلي يوطــد هــذه العلاقــة الكــريمة ويبارك هذه الصحبة المباركة ويربطها برباط مقدس هو رباط المصاهرة فيزوج أبا العباس ابنته التي يأتي منها بجمال الدين محمد وأبي العباس أحمد وبهجة التي زوجها لسيدي ياقوت العرش .

وعــندما رأي أبــو الحســن أن استقراره بتونس أصبح محفوفا بالمكاره وأن دعوته ستتعرض حتما للمنازعات والفتن عقد العزم علي الرحيل .

وقــد آثر السفر معه بعض أصحابه وعلي رأسهم الإمام أبو العباس المرسي فوصلوا الإســكندرية في عام ٦٤٢هـ (١٢٤٢م) واتخذوا دارا بإزاء قلعة " كوم دعايس " المعروفة الآن بكــوم الدكة وأخذوا يدعون الله في كل مكان ، وقد كان جامع العطارين بالإسكندرية الذي أنشأه بدر الجمالي سنة ٤٧٩هــ الكعبة التي يؤمها أجلاء العلماء وأكابر الفضلاء يعقد فيها أبو الحسن مجالس علمه وحلقات درسه لتلامذته وكان الإقبال علي دروسه عظيما سواء من عامة الناس أو من خاصتهم .

وفــي سنة ٦٤٦هــ جاء الإمام أبو الحسن وقدم الشيخ أبا العباس وأعلن خلافته له وأذن لـــه فــي إلقـــاء الدروس علي طلابه وتلاميذه وأن يفقههم في دينهم ويعلمهم مبادئ الشريعة وتلقيــن مبادئ السلوك ويرشدهم إلي الله تعالي ثم أكثر بعد ذلك من الترحل بالبلاد والتنقل في أنحاء الأقاليم مبشرا بمبادئه ناشرا علومه ومعارفه وكان يلازمه في رحلاته الشيخ أبو العباس أو يلحق به في إقامته ثم يعودان إلي الإسكندرية ثانية .



البوصيري
محمد بن سعيد بن جماد

مـــن أولياء الإسكندرية " ٦٠٨ – ٦٩٥ " أبو عبد الله شرف الدين من أسرة مغربية تنتمـــي إلـــي صـــنهاجه " قبيلة بالمغرب " ولد في بوصير سنة ٦٠٨ وهي قرية تقع بين بني سويف والفيوم ومنها استمد لقبه [1] .

عـــاش صبيا في القرية وشابا في القاهرة ، وقد افتتح مكتبا لتحفيظ القرآن الكريم ثم عمـــل كاتـــبا ببلبـــيس وبالمحلـــة وأخيرا انتقل إلي الإسكندرية حيث عمل بجمركها ، واشتهر بقصيدتين البردة والهمزية ، وقد نالت الأولي منهما مالم تنله قصيدة عربية من قبل من الإجلال والاحـــترام حتـــي اتخذهـــا كثـــير من الناس وردا من أوراد العبادة وقلدها الكثير من الشعراء وخمستها وسبعها وتسعها كثيرون أيضا .

ومـــن أشهر الذين عارضوها " محمود سامي البارودي" بقصيدته : " كشف الغمة في مدح سيد الأمة " وأولها :

ياساري البرق يمم دارة العلـــــم واحد الغمام إلي حي بذي ســـلم

وأحمد شوقي في قصيدته نهج البردة التي مطلعها :

ريم علي القاع بين ألبان والعلـــم أحل سفك دمي في الأشهر الحرمي

وقصـــيدة الـــبردة هذه تحتوي علي كثير من المعاني والأغراض الدينية ولا تكفي هذه العجالة لبيان ما فيها من بيان معجز ومطلع هذه القصيدة قوله :

أمن تذكر جيران بذي ســـــلم مزجت دمعا جري من مقلة بدم ؟

ومن توجيهاته الحكيمة فيها قوله :

والنفس كالطفل أن تهمله شب علـــي حب الرضاع وإن تفطمه ينفطـــم
فاصرف هواها وحاذر أن توليـــــه إن الهوي ما تولي يصم أو يصـــم
وراعها وهي في الأعمال سائمـــــة وإن هي استحلت المرعي فلا تسم
كم حســـنت لذة للمرء قاتلـــــة من حيث لم يدر أن السم في الدسم

ومنها في وصف آيات القرآن الكريـــم :

دامت لدينا فقامت كل معجـــــزة من النبيين إذ جاءت ولم تـــدم
ما حوربت قط إلا عاد من حـــرب أعدي الأعادي إليها ملقي السلم

---

[1] ـ مصلحة الاستعلامات ، مرجع سابق

مساجد أخري :

(١) سيدي بشر : "

هو بشر بن الحسين بن محمد بن عبيد الله بن الحسين بن بشر الجوهري ، وهو من سلالة آل بشر الذين وفدوا إلي الإسكندرية في أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس الهجري { الثالث عشر الميلادي } مع من جاء من علماء المغرب والأندلس في تلك الفترة التي ظهرت فيها بالإسكندرية المدرستان الإسلاميتان اللتان اجتذبتا إليهما طلاب العلوم الفقهية وهما المدرسة الصوفية والمدرسة السلفية .. وكان سيدي بشر الجوهري متصوفا زاهدا اعتزل العالم وأوي إلي تلك المنطقة النائية في ناحية سيدي بشر بالرمل ، ولما توفي عام ٥٢٨هـ أقيم له هناك ضريح حتي امتد العمران هناك فأقيم له في أواخر القرن التاسع عشر مسجد جديد ثم جدد المسجد في عهد الخديوي عباس الثاني ، ومد إلي منطقته خط حديدي ليصلي في المسجد صلاة الجمعة حين يصطاف " الخديوي" بالإسكندرية ثم جدد مرة أخري عام ١٩٤٥م ، وأضيف إليه ما جعل مساحته أربعة أمثال ما كانت عليه

وفي عام ١٩٤٧ أنشئ أمام المسجد ميدان فسيح وحديقة تجاور شاطئ البحر وأصبح مسجده اليوم والحي المنسوب إليه من معالم الإسكندرية المشهورة وأحيائها العامرة .

(٢) سيدي جابر :

هو جابر بن اسحق بن إبراهيم الأنصاري ، وقد ولد ونشأ بالأندلس في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي وانتقل سيدي جابر إلي الإسكندرية وأقام بها وبني له زاوية بالناحية المعروفة اليوم بسيدي جابر في الرمل وكانت يومذاك أرض خلاء وظل هناك يعلم ويكثر اتباعه حتي توفي بالإسكندرية ١٢٩٨م وعاصر حكم المماليك البحرية بمصر وشهد عهد السلطان قلاوون ، وكان " سيدي جابر " شيخا ورعا وكان إلي جانب اهتمامه بشئون الدين يسلك طريق المتصوفة ورعايته لاتباعه مهتما باللغة والنحو والصرف .

وفي عام ١٩٥٨ أقيم المسجد الفخم الحالي الذي افتتح في شهر رمضان في حي سيدي جابر الشيخ برمل الإسكندرية حيث تقام الصلوات والموالد وبه جمعية سيدي جابر الخيرية .

" الإسكندرية روعة وعطاء ، هيئة تنشيط السياحة بالإسكندرية ، عام ٢٠٠٢ صـ ١٣٣ - ١٣٥



(٣) أبو عبد الله الشاطبي :

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان العامري الشاطبي ــ ولد سنة ٥٨٥ ثم جاء إلي الإسكندرية وأقام من رباط سوار خارج البحر وكان أحد الأبنية التي شملتها الإسكندرية في العصر المملوكي واتسم بالطابع الديني ، واشتهر الشيخ الشاطبي بالتدين والورع وكان السلطان الظاهر بيبرس (١٢٦٠ــ ١٢٧٧) يذهب خلال إقامته بالإسكندرية لزيارته والاستماع إليه .. ولم تزل بالإسكندرية بحي الشاطبي المعروف برمل الإسكندرية علي مقربة من شاطئ البحر زاوية في إحدي عمارات الأوقاف تسمي زاوية الشاطبي يزورها الكثيرون إلي اليوم للتبرك وينسب إليه بعض المؤلفات في القراءات والتفسير .

(٤) الطرطوشي : ٤٥٠ ــ٥٢٠هـ

أبو بكر الطرطوشي عالم ديني واجتماعي معا ، وهو شاعر مجيد كذلك ألف كتابه "سراج الملوك" فكان من خير ما خلفه العلماء السابقون هداية للشعوب وحكامها ، وهو رجل يقدر للشعوب قيمتها ويعرف حقها ، ولذلك يقول في صراحة لم يكن يمارسها غير القليلين في ذلك العهد : " أن الرغبة إذا قدرت علي أن تقول .. قدرت علي أن تفعل " جاء إلي الإسكندرية حوالي سنة ٤٩٠ هـ تقريبا وكان فيها الملك الأفضل بن أمير الجيوش ، وقد بدأ الأفضل حياته العلمية هذه بالانتقام من العلماء والشعب لفتنة كانت قد قامت ضده فقام الطرطوشي بشئون الوعظ وإشاعة العلم بين الناس وعندما التقي بالأفضل لأول مرة كان لقاؤه إياه مثيرا ويبدو هذا في الكلمة التي ألقاها إليه وفيها يقول :

أيها الملك { إن الله سبحانه وتعالي قد أحلك محلا عاليا وملكك طائفة من ملكه فلا ترضي أن يكون أحد أولي بالشكر منك ، وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعال} قال الله تعالي : اعملوا آل داود شكرا وأعلم أن هذا الملك الذي أصبحت فيه إنما صار إليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار إليك .. فاتق الله في هذه الأمة فإن الله سائلك عن القطمير والنقمير والفتيل قال الله تعالي : " فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يفعلون فافتح الباب وسهل الحجاب وأنصر المظلوم "

كان الطرطوشي جريئا في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم وقد دعا إلي مقاطعة بعض الواردات الأجنبية واعتبرها ماسة بالدين ومن ثم خاف الأفضل من جرأة الشيخ وأثر مواعظه في الجماهير فاعتقله مدة طويلة حتي ضجر الشيخ ومن هنا راح يستغرق في العبادة ثلاثة أيام متواصلة وهو يقول : إلي متي نصبر حتي إذا أدي صلاة المغرب الأخيرة قال : رميته الآن



ومالبث أن جاءته الأخبار بأن الملك الأفضل قتل في هذه اللحظة وكان ذلك سنة ٥١٥هـ ولهذا اعتقد فيه خليفته المأمون البطائحي وأكرمه ٠

ولد الطرطوشي سنة ٤٥٠ هـ بمدينة طرطوشة احدي مدن الأندلس وعاش عالما زاهدا ورعا حتي وفد إلي الإسكندرية فقام برسالته العلمية خير قيام وقد ألف كثيرا من الكتب النافعة وفي مقدمتها كتابه المشهور { سراج الملوك } ومن كتبه مختصر تفسير { الثعالبي} هذا بالإضافة إلي عشرين كتابا أخري في مختلف الاتجاهات ذات الطابع الديني ومن شعره :

إعمل لمعادك يا رجل　　　فالناس لدنياهم عملوا

وادخر لمسيرك زاد تقي　　　فالقوم بلا زاد رحلوا

وقد وصفه القاضي عياض " بأنه الإمام الورع " وقال عنه ياقوت : " هذا الذي نشر العلم بالإسكندرية وعليه تفقه أهلها " ونعته السيوطي فقال : "أنه أحد الأئمة الكبار"

وتوفي الطرطوشي سنة ٥٢٠ هـ ودفن بقبر بني عليه مسجد فيما بعد ، ويقع بالحي المسمي باسمه بجوار { كوم الناضوره } أي محطة الأرصاد الجوية في حارة صغيرة وقد ظل مسجده مهدما حتي بناه المرحوم " السيد إبراهيم مورو" أحد أهالي الإسكندرية سنة ١٢٧٠ هـ وأوقف عليه أوقافا وهو الآن تابع لوزارة الأوقاف ، وكان الإمام الطرطوشي رجلا نشطا منتجا خصب الإنتاج عرف منها اثنين وعشرون مؤلفا ـ الموجود منها تسعة والباقي مفقود ، ومن هذه المؤلفات التسعة طبع اثنان فقط والسبعة الأخري ظلت مخطوطة وبعض هذه المؤلفات تتصل بعلوم التفسير ومسائل الخلاف والفقه ـ وفقه مالك بوجه خاص ـ والبعض الآخر يتناول بالبحث علم السياسة وفن الحكم والمجتمع وأدواءه وأحواله ٠

وكتاب { سراج الملوك } أهم كتبه جميعا وأقيمها ٠٠ فإن معظم كتبه قد فقدت للأسف وهذا الكتاب الوحيد من بين هذه القلة الباقية الذي طبع أكثر من مرة ٠

والطرطوشي في هذا الكتاب من الطلائع ومن رواد الفكر الإسلامي الأوائل الذين حاولوا التأليف في علم السياسة وفن الحكم ، وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلي كتاب الطرطوشي {سراج الملوك} واعترف أنه من المفكرين القلائل الذين سبقوه بالتأليف في علم الاجتماع أو العمران ٠٠ وقد قسم الطرطوشي كتابه { سراج الملوك } إلي أربعة وستين فصلا جعل الفصل الأول في مواعظ الملوك والفصل الثاني في مقامات العلماء الصالحين عند الأمراء والسلاطين ومن بينها فصل لمنافع السلطان ومضاره وفصل آخر لمعرفة الخصال التي هي قواعد السلطان وفصل للوزراء ـ وعقد فصلا للحديث عن علاقة السلطان بالجند وبيت المال

وفصــلا للحديــث عمــا يصــلح الرعية من الخصال وما إلي هذا من موضوعات كثيرة تتصل بسياسة الملوك وفن الحكم وتدبير أمور الرعية .

(٥) القبـاري : { ٥٨٧ - ٦٦٢ }

ولد أبو القاسم بن منصور بن يحيي المالكي المعروف بالقباري سنة ٥٨٧ هـ وكان عفيف النفس محبا للعلم جادا في حياته . [1]

أدرك فــي طفولــته عصر صلاح الدين وشهد في شيخوخته قيام دولة المماليك ورأي بعينــيه كفاح مصر ضد الصليبيين اتخذ في حياته بستانا يزرعه ويأكل من ثمره وبني به دارا يتعــبد فــيها ، وكان يري أن العمل فريضة وعبادة وأن الســؤال مذلة ومهانة .. ولقد كان عزيــز النفس كم سعي لزيارته ولاة الإسكندرية وكبار رجال الدولة فلم يقابلهم ومن الأدلة علي عفة نفسه وعزتها أن السلطان الظاهر بيبرس زار الإسكندرية سنة ٦٦١هـ وأرسل إلي الشيخ يســتأذنه في زيارته فأذن له .. فلما أتاه الظاهر في بستانه وسأله عن حاجته لم يقل له شيئا ولما سأله النصيحة أوصاه بعمارة أسوار الإسكندرية وتحصينها فنفذ الظاهر بيبرس وصيته .

كــان مســتجاب الدعوة ويروون عنه في ذلك حكايات وكان ثقيل السمع إلا أنه يحب العلم إلي الغاية القصوي وكان أصدقاؤه ينقلون إليه ما يتلي في هذه المجالس بصوت عال

وتوفــي أبو القاسم القباري إلي رحمة الله سنة ٦٦٢ عن ٧٥ عاما ودفن في بستانه وأقــيم عليه مسجد صغير جدد في منتصف القرن التاسع عشر وسكن الناس حوله حتي أصبح حي القباري من أحياء المدينة المهمة .

(٦) ياقــوت العرشــي :

مــن أخلــص تلامــيذ أبي العباس إلي الناس وتعلم علي يديه فأصبح من كبار علماء المديــنة وليس أدل علي ثقة الشيخ في تلميذه ومحبته له من أن الناصر بن محمد بن قلاوون وهــو ابن السلطان الحاكم علي مصر في هذا العصر طلب أن يتزوج " بهجة " بنت الشيخ أبي العــباس المرسي وكانت ذات جمال فرفض أبو العباس ذلك الزوج وزوجها من ياقوت العرشي وعــاش "يــاقوت" بعد أستاذه مدة وتوفي قبل نهاية القرن السابع وأقيم مسجد علي ضريحه ثم تهدم وجدد المسجد المرحوم "أحمد الدخاخني" شيخ طائفة البنائين بالإسكندرية سنة ١٢٨٠هـ

[1] ـ الإسكندرية روعة وعطاء ، مرجع سابق



(٧) سند بن عنـان :

كـان " سـند بـن عـنان " مـن أئمة المذهب المالكي بالإسكندرية وهو من تلاميذ "الطرطوشي" المخلصين وقد حل محله في التدريس بعد وفاته . [١]

ولما كانت المدونة من أهم الكتب في مذهب الإمام مالك فقد وضع لها "سند بن عنان" شرحا متسعا يبلغ الثلاثين مجلدا ولكنه لم يتمه .. قال عنه عالم مصر في ذلك العهد الشيخ " تقي الدين بن دقيق العيد" أنه كان فاضلا من أهل النظر .

وكان " سند " شاعرا غير أن شعره يغلب عليه الطابع الفقهي .. هذا وقد توفي "سند بن عنان " سنة ٥٤١ هـ بعد أن ظل يدرس للناس أكثر من عشرين سنة ودفن بالقرب من قبر الطرطوشي ولا يزال مسجده بشارع الباب الأخضر بالسكة الجديدة بالإسكندرية .

تحـدث "أبـو القاسم بن مخلوف بن عبد الحق " فقال : " أخبرني من أثق به أنه رأي الفقـيه أبـا علي سند بن عنان في المنام فقال له .. ما فعل الله بك ؟ فقال : عرضت علي ربي فقال لي أهلا بالنفس الطاهرة الزكية .

ووصـفه عـالم مصر في القرن السابع الهجري هو تقي الدين بن دقيق العيد بقوله : كان ـ أي سند بن عنان ـ فاضلا من أهل النظر .

وكـان سند بن عنان كأستاذه الطرطوشي يقول الشعر أحيانا ، وقد روي ابن فرحون بيتين من شعره قال : ومن نظم سند رحمه الله :

وزائرة للشـيب حلـت بمفرقـي	فبادرتها بالنتف خوفا من الحـتف
فقالت : علي ضعفي استطلت ووحدتي	رويدك للجيش الذي جاء من خلفي

واشتغل سند بن عنان بالتأليف ذكرت المراجع أنه ألف كتابا ضخما في شرح " المدونة " وهي من أمهات الكتب في فقه مالك ـ وسمي سند شرحه هذا الطراز وكان في ثلاثين مجلدا غير أنه توفي قبل إتمامه .

وقـد رشـحت هـذه المؤهلات جميعا سند بن عنان لأن يخلف أستاذه "الطرطوشي" فجلـس في حلقته ومدرسته بعده يلقي الدروس في العلوم المختلفة وخاصة في فقه مالك ، قال ابـن فـرحـون : وجلـس ـ سند بن عنان ـ لإلقاء الدروس بعد الشيخ أبي بكر الطرطوشي وانتفع الناس به .

[١]- مصلحة الاستعلامات ، مرجع سابق



وظــل " سند بن عنان " يدرس إحدي وعشرين سنة بعد وفاة أستاذه الطرطوشي إلي أن توفي سنة ٥٤١هـــ ، ودفن بالقرب من قبر الطرطوشي ولا زال مسجد سيدي سند بن عنان موجودا حتي اليوم في شارع الباب الأخضر (أو شارع السكة الجديدة) بالإسكندرية

ثورة ١٩١٩ والمظاهرات أمام أبي العباس :

أعلنـــت الحمايـــة علي مصر في ٢٨ ديسمبر ١٩١٤ وفي ظل الأحكام العرفية زجت إنجلترا بالوطنيين وخاصة من أعضاء الحزب الوطني في السجون وفي مدينة الإسكندرية ألقي القــبض علـــي الوطنيين ووضعوا في سجن الحدراء وطوال فترة الحرب العالمية الأولي قاست مصـــر مـــن وطأة الأحكام العرفية والحكم العسكري القائم علي العسف والبطش وكانت إنجلترا تسخر جهود مصر لأغراضها الحربية ومصالحها الخاصة . [1]

وطالــب "ســعد زغلــول " هـــو وزمـــلاؤه بإلغاء هذه الأحكام بعد الحرب كما طالبوا بالاعـــتراف باســـتقلال الـــبلاد ورفضت إنجلترا هذه المطالب ثم ما لبثت أن قبضت عليه وعلي زملائــــه ونفتهم إلي مالطة فقامت المظاهرات في أنحاء البلاد احتجاجا علي هذا الإجراء وحدث الصـــدام الحتمـــي بين الطلبة ورجال الاحتلال أسفر عن عديد من القتلي وقد قرر طلبة المعاهد الدينـــية والمـــدارس بمدينة الإسكندرية القيام بالإضراب يوم ١٢ مارس احتجاجا علي سلطات الاحـــتلال وتجمعوا في ميدان مسجد أبي العباس واتجهوا صوب مبني المحافظة القديم بشارع رأس التين هاتفين بالحرية والاستقلال ، وقد تمكن البوليس من فض الأحزاب دون اراقة الدماء ولم تتوقف المظاهرات يوميا حتي كان يوم ١٧ مارس حين أحاط الجنود البريطانيون بمظاهرة تـــتألف من طلبة المعاهد الدينية والصناعية والثانوية ومن العمال بحي الأنفوشي ومنعوهم من مواصـــلة السير فلم يتمكنوا فاطلقوا عليهم النيران وسقط ١٦ شهيدا وأربعة وعشرين جريحا ، وقد أذكت هذه التضحيات نار الحماسة في نفوس الأهالي فكثرت المظاهرات عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع وذهب ضحيتها خلق كثير وزج بهم في غياهب السجون بتهمة إثارة الشغب .

وقد أرغمت هذه المظاهرات سلطات الاحتلال علي إعادة النظر في سياستها إزاء مصر ـــ فأفرجت عن "سعد زغلول" وزملائه وسمحت لهم بالعودة .. كما قررت إيفاد لجنة ملنر إلي مصر لدراسة أحوال البلاد ومطالبها داخل إطار الحماية البريطانية ، وقد قاطع الشعب المصري هـــذه اللجـــنة وعبرت الإسكندرية عن سخطها عليها فقام أهلها بمظاهرة في ٢٤ أكتوبر عقب صــــلاة الجمعـــة مـــن مسجد أبي العباس المرسي بلغ عددها ١٥ ألف .. سارت في شوارع

[1]- مصلحة الإستعلامات ، مرجع سابق



المديـــنة تهـــتف بالاستقلال وسقوط لجنة ملنر ، واعترض رجال الشرطة طريقها ووصلت بعد لحظـــات فصـــيلة من الجيش الإنجليزي انقضت علي المتظاهرين وأطلقت عليهم نيران البنادق فقتل خمسة وجرح أربعون وجرح من رجال الشرطة ثمانية وعشرون ٠٠

وقد استاء أهالي الإسكندرية من تدخل القوات الإنجليزية وصمموا علي الاستمرار في المظاهـــرات وأخذوا يقيمون المتاريس في الشوارع المؤدية إلي حي رأس التين واقتلعوا بلاط الشـــوارع لإعاقة السيارات البريطانية من الوصول إلي معاقل المتظاهرين واستمر الإنجليز في التحرش بالأهالي واثارتهم ٠٠ ففي يوم ٢٥ أكتوبر ١٩١٩ مرت سيارة انجليزية مسلحة بحي الأنفوشـــي وأطلقـــت الـــنار علي جمع من الأهالي بجهة البوصيري فأصيب نحو عشرة منهم واشتبك الأهالي معها للدفاع عن أنفسهم فسقط منهم أربعة قتلي وستة جرحي وانتشرت فصائل القـــوات الإنجلـــيزية في مختلف الشوارع وقامت السيارات المصفحة تجوب الطرقات بحثا عن المتظاهريـــن وارهابـــا للأهالي ٠٠ ولم يستطع محافظ الإسكندرية "حسن عبد الرازق" أن يقنع القوات الإنجليزية بالانسحاب من الشوارع فتجددت الاضطرابات وأعمال العنف وكان مسجد "أبو العباس المرسي " مركزا يتجمع فيه الأهالي من كافة أنحاء المدينة ويخرج المتظاهرون منه إلي وســـط المديـــنة ليلـــتقوا بجموع المتظاهرين الوافدين ولم تساعد الظروف السياسية التي تمر بالـــبلاد علـــي الاستقرار أو تهدئة الأمور فقد أصدرت دار الحماية في ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ بلاغـــا رسميا أوضحت فيه أن لجنة ملنر مهمتها اقتراح النظام السياسي الذي سيطبق في ظل الحماية وما أن علم السكندريون بهذا البلاغ صباح يوم ١٥ نوفمبر حتي قامت المظاهرات أيام ١٥ ، ١٦ ، ١٧ وتصـــدت لها القوات الإنجليزية فسقط عدد من الشهداء ، وفي موكب رهيب يضـــم أكثر من خمسة عشر ألفا من المواطنين خرج الأهالي لتشييع جنازة الشهداء بين هتاف الجماهـــير وثورتهم علي الدماء الذكية التي تراق كل يوم برصاص المستعمرين ، وفي صبيحة اليوم التالي وقد خرجت المظاهرات من مسجد أبي العباس وسارت في طريقها المعهود إلي قلب المديـــنة فأطلقـــت علـــيهم النيران ، وفي المساء قام أهالي باب سدرة وسوق الطباخين بقطع الأشـــجار وانـــتزاع أحجـــار الأرصفة لصنع المتاريس وإغلاق الشوارع - وحدثت مصادمات أسفرت عن تسعة من القتلي وثلاثين من الجرحي ٠

ونتـــيجة لخطـــورة الحاجة احتلت القوات الإنجليزية المواقع المهمة بالمدينة وفرضت حظر التجول بعد التاسعة مساء وحرمت تشييع الجنازات في مواكب كبيرة ٠

وإزاء إصرار المصريين علي عدم الاعتراف بلجنة ملنر وأمام التضحيات الكبيرة التي قدمهـــا المصريون خاصة أهالي الإسكندرية اضطرت لجنة ملنر أن تعلن أنها لم تأت إلي مصر

إلا للتوفيق بين أماني الشعب المصري ومصالح بريطانيا في مصر مع عدم نسيان المحافظة علي حقوق الأجانب ."

هذه اللقطة في منطقة أبي مندور بمدينة رشيد في حديث إلي إذاعة البرنامج العام وللصحافة

" ذكري العارف بالله المرسي أبو العباس ، من إصدارات مصلحة الاستعلامات في الستينيات



ليالي رمضان

ينفرد شهر رمضان بخصوصية الاحتفال برؤية هلاله وإضاءة المساجد والمحلات والشوارع والحارات في هالات من النور وليالي السمر والمسحراتي ، والياميش وقمر الدين والكنافة والقطايف والفوانيس الملونة وصوت القراء ٠ [١]

ويحدثنا التاريخ القريب عن استقبال رمضان بإطلاق المدافع وموكب أرباب الحرف وكل حرفة تمثلها عربة مزدانة بالزهور والفوانيس ورموز من أدوات الحرفة ومواكب دراويش الصوفية يحملون شاراتهم وبيارقهم وفرق الجيش والشرطة بموسيقاها المميزة ، هذه المواكب التي كانت تنطلق في جو من الفرح العام في الشوارع حتي مبني المحافظة أو إلي المديرية في عواصم المحافظات أو بيت " المأمور " في المدن ٠٠ في حين أصبحت الاحتفالات بشهر رمضان قاصرة علي الأحياء الشعبية التي تضم مزارات أهل البيت والأولياء ٠٠ فإذا كان سكان الأحياء الراقية بالقاهرة يحرصون علي قضاء سهرات رمضان في حي الحسين ٠٠ فإن سكان الإسكندرية يحرصون علي قضاء السهرات بميدان أبو العباس ، ويحرص الكثير من أهل الإسكندرية علي تناول الإفطار – ولو لمرة واحدة خلال رمضان – في ميدان مسجد أبو العباس وقضاء السهرة في احدي المقاهي الشهيرة بالحي حتي موعد السحور يدخنون الشيشة ويشربون الشاي الأخضر والأحمر ٠٠ وإذا كانت القاهرة تسهر في الحسين والسيدة زينب فالإسكندرية تسهر في المنشية وسوق الخيط والإبراهيمية ، وفي السنوات الأخيرة انتشرت ظاهرة محاولة نقل أجواء الحياة الشعبية خلال شهر رمضان إلي فنادق الخمس نجوم ، وكانت مظاهر الفنون الشعبية تتجلي في أحياء المنشية والقلعة وميدان المساجد بالإسكندرية فكان السيرك في ميدان المساجد ينصب خيامه { حيث يستعرض الأسود } بالإضافة إلي الألعاب البهلوانية وعروض السينما "المفتوحة" وكذلك عروض المسرح الشعبي والأراجوز وخيال الظل والقرداتية والحواه [*]، وتروج حركة المطاعم والمقاهي ومحال الحلوي والكنافة حتي أذان الفجر ، وفي حي المنشية وبجوار ميدان المساجد والمنطقة المحيطة بساحته كانت تنتشر سرادقات الفن ونجوم الطرب الشعبي وفرق الإنشاد الديني ٠٠ ونظرا لقرب مدينة رشيد من الإسكندرية فكان الكثيرين يترددون علي مدينة رشيد ففي ساحتها التي كانوا { يطلقون عليها المنشر } حيث كانت سرادقات الفن والسيرك وسهرات الطرب ، ومن الظواهر التي

---

[*] عرفه عبده علي ، رمضان في الزمان الجميل ، ١٩٩٩ ، ص ٢٩



اختفــت مــن حياتــنا الشعبية " شاعر الربابة " الذي تحدثت عنه كتب الرحالة ، شهد أجدادنا مجالسه حتي بداية انتشار الراديو ٠٠ كان أصحاب المقاهي حريصون علي الاتفاق مع شعراء الـربابة لإحــياء ليالي رمضان في مقاهيهم ٠٠ كان الشاعر يتصدر المقهي علي دكة خشبية وعلي جانبه اثنان من العازفين علي الربابة ويروي السير الشعبية " كأبو زيد الهلالي والزناتي خلــيفة وعنــتره والظاهــر بيبرس " بعضهم كان يغني قصته والبعض الآخر كان يضفي عليها الأداء التمثيلي كقصة " الظاهر بيبرس " فإذا تحدث بلسان الأعداء يحاول أن يتكلم بلكنة أجنبية وإذا كان المتحدث سيدة رقق من صوته وهكذا ٠

ومواكــب دراويــش الصوفية مصحوبة بالطبول والدفوف حاملين الشارات والبيارق مكــتوب علــيها كلمة التوحيد ولفظ الجلالة وأسماء الله الحسني وأسماء سيدنا محمد والخلفاء الأربعــة والأقطاب والأولياء والعمائم والأوشحة بالألوان : الأحمر والأسود والأخضر كل حسب الطــريقة التي ينتمي إليها وكان كثير من الناس ينضمون إلي هذه المواكب وإلي حلقات الذكر علمــا بــأن هذه المواكب ــ قبيل انتشار الكهرباء ــ كان يتقدمها في الليل أحد الشيوخ ممسكا بفــانوس مــن نوع خاص عبارة عن قفص كبير مغطي بقماش أبيض بداخله مصباح أو قنديل ملــون ، فكانــت تــنعكس علي وجوه الرجال وراياتهم أضواء وأشكال جذابة تزيد من جمال الموكب وروعته ٠

<u>مقاهي ميدان المســاجد</u> [1]:

ما أن تذكر مباهج رمضان الساهرة حتي يذكر معها مقاهي الأحياء الشعبية ٠٠ كانت المقاهــي في رمضان ترتادها النساء التقدميات من أهل الفن والأدب ٠٠ وكن غالبا من رائدات الأزياء الحديثة ، ولم تكن أغلبية الرجال في العشرينات ممن يستسيغون السهر في دنيا الفنون أي الذيــن بلغــوا الأربعيــن أو تخطوهــا كانت الشوارب التي يبرمونها والعصي الأنيقة التي يحملونها في أيديهم تخلق حولهم جوا من الوقار لا يتناسب مع هذا النوع من السهر الذي كان فــي رأيهم مقصورا علي الشباب إلا أنهم يكونوا في حالة انسجام مع الأغاني القديمة ٠٠ لقد كــان أحدهــم يهــتز طربا إذا سمع اسطوانة صالح عبد الحي التي يقول فيها { ساهي الجفون ماكفــاك الهجــر ياساهي ٠٠ فرحان بتلعب وعن حال الشجي ساهي } وكان أحدهم هذا يميل علــي أذن صــاحبه لــيقول له : " الولــد ده صورة طبق الأصل من خاله " ، والولد ده هو المــرحوم صــالح عــبد الحي وخاله هو المغني عبد الحي حلمي الذي كان الجيل القديم يعتبره خليفه لسي عبده وسي عبده هو " عبده الحامولي "

---

[1]- المرجع ص ٦٦



لقد حاول أمير الشعراء شوقي أن يقنع سعد زغلول بالاستماع إلي "محمد عبد الوهاب" فـــي حفلــة عامة أو حفلة خاصة ، وبقدر ماكان شوقي يلح في المحاولة كان " سعد " يلح في الاعتذار ٠٠ مع أن سعد زغلول ككل كبار الخطباء كانت له ميول موسيقية ٠٠ بل لقد كان في مـــنفاه بجزيرة سيشل يقطع بعض الوقت في الاستماع إلي مكرم عبيد وهو يغني ، والأكثر من هذا أن سعدا بنفسه كان يختار لمكرم قصائد الشعر التي يغنيها مكرم ومالم يكن منها ملحنا كان يتولي سعد بنفسه تلحينه ٠

إذن ٠٠ لم تكن المسألة مسألة { وقار } إنما كانت في باطنها مسألة التعصب الفطري للجيل ٠

وكانـــت ليالـــي ســـيدي المرسي أبو العباس الرمضانية تمتاز بالنزعة الدينية الشعبية وكان يقام في رحاب ميدان المسجد سرادق تقام عليه السهرات الشعبية التي تقدم عليه قصور الثقافة فنونها بالإسكندرية علي كافة أنواعها من

الفانـوس :

لم تشهد صناعة فوانيس رمضان عصرا أزهي من العشرين سنة التي تقع بين نهاية سني الحرب العالمية الأولي وبين بداية سني الحرب العالمية الثانية ٠٠ أما بعد الحرب العالمية الأولـــي فقد ازدهرت هذه الصناعة نتيجة لظاهرة اجتماعية من آثار ثورة سنة ١٩١٩ ٠٠ هي ظاهـــرة { الاخـــتلاط } فقبل سنة ١٩١٩ لم يكن مسموحا لابن الطبقة المتوسطة وما فوقها أن يخـــالط أبناء الطبقة التي تحتها ٠٠ أما بعد سنة ١٩١٩ بعد أن اشتركت البنات في المظاهرات وبعـــد أن ســـار العامل الصغير مع طالب المدارس العليا جنبا إلي جنب في الحركة الوطنية فقد ظهـــرت ظاهـــرة جديدة من الاختلاط بين الناس الظاهرة هي زيادة حجم الصبية والصبايا الذين يحملون الفوانيس في ليالي رمضان ٠٠ كانت الفوانيس مجرد أحجام صغيرة مربعة أو مخمسة فكـــبر حجمهـــا وتعددت أشكالها بتعدد فئات الأولاد الذين يقتنونها ٠٠ ظهر الفانوس المصنوع علي شكل عربة ترام ، والفانوس المصنوع علي شكل قاطرة تجر عربات علي صورة عربات الســـكك الحديدية ، ومع التطور ظهرت فوانيس لا تضاء بالشموع التقليدية بل بمادة كيميائية جديدة هي مادة الكرون الأبيض الذي كان يجعل من فانوس رمضان وكأنه مصباح كهربائي ٠٠ ثم زاد التطور فظهرت فوانيس تضاء بالبطاريات أيضا وانتقلت صناعة الفوانيس الرمضانية من الأحياء الشعبية إلي الأحياء التجارية الكبري ٠

ولقـــد كـــان استبدال الفانوس بغيره أمرا ميسورا فثمن الفانوس في أول رمضان كان يـــتراوح بين خمسة مليمات وخمسة قروش ٠٠ أما إذا انتصف الشهر فإن سعر الفانوس يهبط

إلـــي النصـــف وكــــان الصــــبية يشكلون بهذه الفوانيس حلقة مضيئة بأضواء بيضاء وحمراء وخضراء تبعا لألوان زجاج الفوانيس ، وقد اقتضي التطور الثقافي بين الصبية أن يتوسط هذه الحلقة صبي أو صبية يحمل فانوسا كبيرا قد ركب علي قمته علم ٠

لقد دخلت الوطنية صناعة الفوانيس وامتد التطور بلعبتها لكي تمسي يوما وسيلة من وسائل التوعية الوطنية بعدما كانت مجرد أداة للهو أبناء الفقراء الذين يطلبون شيئا من خيرات رمضان ، ومع أن فوانيس رمضان كانت تبدو مجرد لهو للصغار ٠٠ إلا أنها في الواقع كانت تمثل مظاهر الاحتفال القومي بقدوم شهر الصيام ٠٠ الشهر الذي كان دائما شهر عبادة بالنهار وشهر مباهج لا نهاية لها بالليل ٠

ارتــبط الفــانوس بشهر رمضان عندما استقبل أهل القاهرة "المعز لدين الله الفاطمي" عند قدومه ليلا في الرابع من رمضان عام ٣٦٢هـ ٠

وفي بعض الروايات التاريخية أن الفوانيس كانت تعلق بأعلي المآذن منذ آذان المغرب حتي موعد الامساك ٠٠ كما كانت تستخدم الفوانيس لإضاءة الطرقات والحارات في عتمة الليل وقت صلاة التراويح وصلاة الفجر ٠

ويعتبر الفانوس أهم مظاهر الاحتفال بالشهر الكريم عند الأطفال ٠٠ فوانيس رمضان ذات الألــوان والأشكال والأحجام المختلفة ، وبالرغم من طول الزمان والفوانيس البلاستيكية مازال الشكل التقليدي للفانوس الزجاجي الملون سحره الخاص ٠٠ ويتفنن صناع الفوانيس في ابتكار أشكال جديدة كل عام لجذب الأطفال ٠٠

ولأنـــه فـــي عصر الخلفاء الفاطميين حرم علي النساء الخروج من بيوتهن باستثناء ليالـــي رمضان وحدها لزيارة أقاربهن فكانت السيدة تسير في الطرقات يتقدمها غلام يحمل في يــده فانوسا بشمعة ٠٠ وتتعاقب القرون وخرجت النساء كيف شئن ٠٠ وبقي الفانوس في يد الصــغار كتقلــيد رمضـــان متوارث ٠٠ ويطوف الأطفال في الأحياء الشعبية حاملين فوانيسهم الملونة وقد حفظت الذاكرة الشعبية كثيرا من الأغانـــــي :

وحـــوي يا وحـــــــوي ٠٠ إيـــاحـــه
بنــــت الســــــــلطان ٠٠ إيـــاحـــه
لابســـة الفســـــتـان ٠٠ إيـــاحـــه
ماسـكة الفانـــــوس ٠٠ إيـــاحـــه
أحمــــــر واخضـــر ٠٠ إيـــاحـــه
ماشـــية تتمخطـــــر ٠٠ إيـــاحـــه

علشــــان أعــــرف	..	إيـــاحــه
بيتهــــم عالـــي	..	إيـــاحــه
وحــــوي يا وحــوي	..	إيـــاحــه

ومــن الأغاني الشهيرة التي تتوارثها الأجيال حيث تتوجه مجموعة من الأطفال إلي منزل واحد منهم وينشدون :

حــــاللوا .. يا حــــالــو	..	رمضان كريـــم يا حــــالو
لولا " محمد " لولا جينـــا	..	يالـــــلا الغفـــار
ولا تعبنــــا رجلينـــــا	..	يالـــــلا الغفـــار
يحل كيســـه ويدينــــا	..	يالـــــلا الغفـــار
يدينـــــا يامـــا يدينــــا	..	يالـــــلا الغفـــار
يدينـــــا متيـــن ريــــال	..	يالـــــلا الغفـــار
نســـافر بيهم بر الشـــام	..	يالـــــلا الغفـــار
نجيب بيهم طرابيش للجدعان	..	يالـــــلا الغفـــار
ومناديل للســــــتات	..	يالـــــلا الغفـــار
أدونا العــــــــادة	..	الله خليـــــكـــم
لبــــــة وقـــــلادة	..	الله خليـــــكـــم
الفانوس طقطـــــــق	..	الله خليـــــكـــم
والعيال نــــــامــــوا	..	الله خليهـــم .. لأهاليهم

فتمـــنحهم أم الطفـــل المنادي عليه شيئا من الحلوي أو النقود ويذهبون إلي منزل صديق آخر فيقولون :

أحمد قـــاعد ع المرتبــــة	والمرتبـــة مذهبـــــة
وأمه تقـــول يامرحبـــة	ابن العزيـــزة الغاليـــة

وقد يداعبون عجوزا قائليــــن :

يـــا أم رمضـــــــان	قـــومي اتســــــــحري
عالفجــــل الريـــــان	والعيــــش الطـــــــري

ويمرون علي المقاهي والمحلات فإذا منحهم صاحب المحل شيئا قالوا :

الدكـــان ده كله عمـــار	وصاحبـــه ربنــــا يغنيـــــه

وعندما ينطلق مدفع الإفطار .. ينطلقون صائحـــين :



يا صايم .. قوم افطـر .. عالكحكة أم سـكر

وينشـدون أيضـا :

يارمضـان ياورق أخضر	أيـامك زي السـكر
دايمـا بتجينـا معطر	صيـامـك بيهنيـا

وع الجـوامع بيـودينـا

<u>رمضان في الريـف</u>[1]:

لقد أمضيت فترات في شهر رمضان في قرية " الجديه" إحدي قري مركز رشيد والتي ينتسـب إلـيها المغفـور لها والدتي ابنة المرحوم العمدة "أحمد هنيدي" ومن ملاحظاتي ومن أحاديـث السابقين سواء في هذه القرية أو قري أخري ففي رمضان لا يسهر الفلاحون إلا في مكانيـن {المندرة} أو { المقهـي } فيسهرون في المندرة بجوار " حضرة العمدة " أو " سيدنا الشـيخ" والمـندرة هـي القاعة الكبيرة في دوار العمدة الخاصة بالمناسبات حيث توزع أطباق الحلـوي وأدوار الشاي الثقيل يستمعون إلي أحاديث شيخ القرية بينما يفضل البعض ـ خاصة الشباب ـ السهر في المقاهي حيث ألعاب التسلية والشاي والمعسل .

ويحدث ـ حتي يومنا هذا ـ أن تخرج الصبايا من البيوت حاملات الصواني النحاسية الكبـيرة عامرة بأطايب الطعام إلي " المندرة " أو خارج البيوت ليشارك فيها الرجال وضيوفهم وأي غريب يتصادف مروره بالقرية وقت الإفطار .

وتكـتمل سـعادة الأطفـال بشـكل خاص حيث تتزايد فرص لعبهم خارج البيوت فهم موقـنون تمامـا أن كـل العفاريت قد قيدت في هذا الشهر الكريم وكان اعتقاد الناس قديما أن رمضـان ملـك من الملائكة .. فإذا هل هلاله قيد العفاريت والجن في قماقم من النحاس حتي يرتاح منها الناس ويتحركون في أمان طوال الشـهر

رمضان ياعـود كبريـت	يامقيد كل العفاريـت

وكان الأعيان يستقدمون كبار القراء والمنشدين " الصييته " لإحياء ليالي رمضان .. وكم أحيا كـبار القـراء والمنشـدين من ليال في قري مصر " محمود صبح وإسماعيل سكر وأحمد ندا ويوسف المنيلاوي وعلـي محمود وطه الفشني ومصطفي إسماعيل وعبد الباسط عبد الصمد " كذلـك أشهر مطربي زمانه الشيخ صالح عبد الحي والست منيرة المهدية "السلطانه" وأم كلثوم في بداية مشوارها الفني والفنان العظيم "زكريا أحمد" الذي لم يكن يرفض إحياء رمضان خارج

---

[1] - المرجع ص ٣٤

القاهرة حتي ولو كان الأجر المعروض عليه لا يكفي ثمنا لتذكرة السكة الحديد فقد كان يري أن مهمـــة الفــنان هي إسعاد الناس في أي وقت وفي أي مكان .. كما كانت تخصص ليال لفرق الإنشـــاد الديني وحلقات الذكر فكانت "الحضرة " تجمع الأحباب عقب صلاة التراويح تبدأ هادئة متصدرا حلقتها "القوال" وهو أجملهم صوتا ثم تتصاعد حرارة الذكر وتنسجم الحضرة مع ترديد اســـم مـــن أســـماء الله تتخللها لحظات يلتقطون فيها أنفاسهم بتناول اقداح الشاي أو القرفة ، وكانت فرصة رائعة لأبناء الريف لرؤية هؤلاء النجوم والاستمتاع بفنهم ، وكان الصييته ومعهم " الـبطانة والسـنيدة " يقـيمون إقامة كاملة بقصر أو دوار الداعي الذي كان ينتظرهم أو من يمثله ـــ بالركايب خارج محطة السكة الحديد تصحبهم "زفة" من أهل القرية .

الكنافة والقطايـف [1] :

مـــن مظاهـــر رمضان تناول الكنافة والقطايف وكانت الأسر المصرية ومحال الحلوي تتفنن في صنعهما وقبيل ثبوت رؤية الهلال بعدة أيام ينتشر بناء الأفران الخاصة بصنع الكنافة ، وكانت ربات البيوت يحرصن علي إهداء صواني الكنافة والقطايف من صنع أيديهم ، وقد بلغ مـــن شـــهرتهما أن المـــؤرخ " جلال الدين السيوطي " وضع كتابا بعنوان { منهل اللطائف في الكنافة والقطايف } .. أما الشاعر أبو الحسن الجزار فيقول :

سقي الله اكناف الكنافة بالقطـــر
وجـــاد عليها سكر دائم الـــــدر
وتبا لأوقات المخلل إنها تمـــــر
بلا نفع .. وتحسب من عمري

المســحراتي [2] :

فـــإذا جـــاء رمضـــان انتشرت الأضواء في كل مكان ، وفي الخمسينيات كان السهر ممنوعا للصغار بعد الثامنة مساء لكن في رمضان كان السهر مباحا حتي السحور .

ولذلـــك كانـــت الأطفال تنطلق في رمضان تجوب الشوارع وتسهر في المقاهي وكانت حـرية السهر سببا من أسباب البهجة حتي المتسولين كانت جموعهم تهجم تنتشر بعد الإفطار مباشرة بعضهم يصرخ وبعضهم يبكي ، وفي حالات نادرة كان المتسول يستدر عطف المحسنين بالغناء ، وكان الجميع ينتظر وصول المسحراتي بالطبلة ومعه مساعد يحمل الفانوس لكي ينير له الطريق لكي يتجنب العثرات في الحفر والمطبات وكان المسحراتي يقف عند كل بيت وينادي

1- المرجع ص ٣٦
2 المرجع ص ٣٧



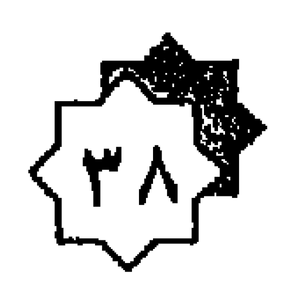
علي أهله بالاسم ثم يغني موالا في مدح الرسول ، وكان المسحراتي من أسباب بهجة رمضان وفـــي منتصف الثلاثينات لم تكن أجهزة الراديو قد انتشرت بعد ، وكانت الصبية تذهب لتشاهد عملـــية إطلاق المدافع من أمام مركز البوليس وبعدها تجري مهللين في الشوارع الخالية تعلن للجميع بصوت مرتفع أن موعد الإفطار قد حان ، وكانت هذه العملية من أسباب بهجة رمضان ، وفـــي الأربعيـــنات كانت هناك سرادقات لتلاوة القرآن الكريم أهمها السرادق المقام في ميدان المســـاجد وكانت الناس تذهب إليه لتستمع وتستمتع بفن مشاهير القراء وكانت هذه السرادقات من أسباب بهجة رمضان .

يـــرجع التســـحير لإيقاظ النائمين إلي عصر خاتم الأنبياء فكان " بلال " بصوته الجميل يتولي هذه المهمة ، وفي عصر الولاه كان يكلف رجال يدعون الناس للسحور سيرا علي الأقدام مـــن مديـــنة العسكر إلي جامع " عمرو " ، وفي العصر الفاطمي كان يؤذن للسحور من المنابر بالإضـــافة إلي من يقوم بالتسحير حتي ظهر " ابن نقطة " المسحراتي الخاص للسلطان الناصر محمـــد .. كـــان شـــيخ طائفة المسحراتيه في عصره ومخترع فن " القومه" الذي لم يحفظ لنا الـــتاريخ إلا نمـــاذج قليلة منه ، وهي من أشكال التسابيح والابتهالات دون إشارة إلي مضمون اجتماعي أو ثقافي .

ثـــم راح المسحراتية يتفننون في الأداء واستخلاص المعاني لحث الناس علي الصيام والقـــيام وطلب المغفرة وإنشاد قصص المعجزات وتوزيع " التحايا " وكان لكل حي المسحراتي الخاص به وفي الأسبوع الأخير من شعبان يطوف علي بيوت الحي ليكتب أسماء من استجد من الأطفال والسكان .

ولمـــا كـــان عمل المسحراتي موسميا ـ مرتبط بشهر رمضان ـ فقد كان الغالب أن يكـــون المســـحراتي متطوعا من أبناء الحي لا يبتغي سوي مرضاة الله بعضهم كانوا من خدم المســـاجد والـــباعة المتجولين ، وقد لا يمتلك المسحراتي عذوبة الصوت ولكنه كان شخصية فنـــية يفـــيض صـــوته بالـــبهجة بألفاظ بسيطة يحيي بها أهل كل بيت بكلمات تلقائية نابعة من الوجدان الشعبي صادرة علي سجيتها من القلب :

يا ســـي عبد الرحمـــن بـــك
يابـــن الكـــرم والجـــود
ياللي يمرعليك رمضان بالفرح ويعـــود
وريحتك الحلوة فايحة زي الورد والعود



والمســحراتي الذي وصفه الرحالة المستشرق البريطاني " أدوارد لين " عام ١٨٣٥ يختلف بلا شك عن المسحراتي اليوم باختلاف سمات العصر وكان المسحراتي يطوف بالبيوت ومعه غلام يحمــل له فــانوس لينير له الطريق ويمسك المسحراتي بيده اليسري طبلة "بازة" وبيده اليمني جلــدة يضرب بها علي الطبلة مرددا الأغاني والتحايا لأصحاب الدور وأطفالهم ولا يذكر أسماء النســاء مطلقــا ويســمح له بالــنداء علــي البنات الصغيرات حيث يقول علي سبيل المثال :

عبلــة ســـت العرايس مانســـاش اســـمها

ياللي المشجــر والحريـــر لبســــــهـــا

أو يقـــول :

ياست نادية ياحبيبــة الصباح	ياعقد لولي فــوق صدور المــلاح
يامســـــك تركــــــي	أينمــــا هـــــب فـــاح
علي جبــل عــــــرفـــات	يجمــــــــع الله شــــــملها
في جاه نبي مرسل عليه السلام	أحياكم المولي إلي كل عـــــام

وكل عام وأنتـــو الجميــع ٠٠ طيبيـــن

وكان الأولاد والبنات ينزلون من بيوتهم فيمنحون المسحراتي نظير هذه "التحايا" بعض من الملبس أو المكسرات " النقل أو النقود " ومن هذه التحايا أيضـــا :

فــؤاد أفنــدي الله يزيـــدك كـــــرم

تشـــاهد الكعبـــة وبـــاب الحـــرم

وينصـــرك ربي علي مـــن ظلــــم

أو

ياســي كريم يـــــارب خليـــــك لنا

والسـنة الجايـــة تكـــون علي منـــي

أو ياســي أحمـــد ما تنساش اســــمه

لبس الباطلـــــو والجوخ كســـــمه

ويمضــي ينقر علي طبلتـــــه ، وقد يحمل عصا يخبط بها علي كل باب صائحا باسماء أصحاب هــذه البــيوت ياحاج محمد يامعلم خليل ياسي رضوان ٠٠ اصحي وصلي علي النبي السحور

قومـــي يام محمد وصحــي جوزك بلاش كســـل

وانت ياســي فؤاد هو النــوم مالوش آخــــــر

اتفضل اتسحر بالهنا والشفا وادعي ربك بالتــــقــي

وبالإضـــافة إلي " التحايا " كان المسحراتي ينشد مديحا في رسولنا الكريم ﷺ ويفصل بيــن كــل بيتين بأربع دقات علي الطبلة أو يروي قصة مسجوعة فإذا كانت طويلة قسمها إلي أجزاء عند كل بيت جزء متبعا أسلوب التشويق ثم يدعو لصاحب البيت وكانت القصص مرتبطة بــروح شــهر رمضــان كقصة الإسراء والمعراج ٠٠ وقصصا تحتوي معجزات عن النبي ﷺ وأصــحابه { قصـــة الجمل والغزالة ، قصة الثعبان ، حكاية ميمونه مع اليهودي } وبعض من ســير الأقطاب والأولياء ٠٠ أو يروي بعض من القصص الفكاهية القصيرة تدور حول مواقف ســاخرة حدثــت له ولزوجته ٠٠كما كانت هناك أغاني واسكتشات تردد في الأفراح عن شهر رمضــان تدل علي وعي الفنان الشعبي وإدراكه لمشاكل مجتمعه ، وهذه مقتطفات من اسكتش كــان شــائعا فــي الأفراح منذ نصف قرن علي شكل حوار بين امرأة هجرها زوجها في شهر رمضان وبين المسحراتي ٠٠ يبدأ هكـــذا :

ننـــه هو ننـــه هـــو   نام يا ابنـــي وارتـــــاح

بلا عياط قلبي اتقطع   وأبوك ليلاتي داير صرماح

ننـــه هـــو ٠٠ ننـــه هـــو

ويظهر المسحراتي قائلا : ياعبـــــــاد الله ٠٠ وحــــــدوا الله

قوموا اتسحروا واعبـــدوا رب الأنـــــام

دا اللي يصـــوم رمضـــــان ياهنـــاه

ينــام ف الجنـــة علي ريش نعـــــام

فتـــرد الأم علي المســـحراتي :

جه معادك يامسحراتي وأنا ف العلالـــي عماله أهـــــاتـــي

فينشـــد المســـحراتي :

ياســـت هدية يـــاوش الهنا   قادر إلهم يســـعدك ربنـــا

ليه بس دايمـــا كل ما آجي هنا   ماسمعش منك غير كتر كـــلام

واقف علي باب بيتكم شـــايف   صينيـــة محشية بالجوز والحمام

ومن بعيد شامم ريحة ملوخيـــة   قولي علي عقلي ياواد الســلام

فتقول الأم محدثة نفســـــها :

يادي الفضيحـــة مفيش قراقيش   ومن الفلوس والله ما عنديـــش

فتقرر أن تنادي المسحراتي وتشرح له حالها فيصعد إليها ويدور بينهما الحوار التالي :



المســــحراتي :

مادام كده طلعت ورينـــــي يســعد مساك ياتور عينـــــي

فين القطايـــف ورينـــي دا نصف فرخة تكفينـــــــي

فتقـــول الأم :

جوزي سكري وعقله خفيف وآدي النهاردة ســـبوع ابنـــي

ماجبش حاجة غير التناتيف

فيقرر المسحراتي أن يحتفل بسبوع المولود ويمضي مناديا أطفال الحارة :

ياولاد حارتنا .. تعالوا هنوا جارتنــــا

قولوا .. وحوي ياوحوي .. إياحــــه

مــولود وحيلــــه .. إياحــــــــــه

وأمــــه جميلـــة .. إياحـــــــــه

وأبوه نيلـــــــه .. إياحـــــــــه

ومن الأقوال أيضا مسحراتي من بلدي [1]

مسحراتي .. منقراتي والجـــــو طـــــاب لـــــي

باقـــــول أغاني فنـــون معانـــي علي دق طبلــــــي

أقــول مواويلي .. ف نهاري وف ليلــي

أقـــــولها بالبـلدي علشـــــــان ولاد بلــــــــدي

إســـــكندرية مارية بجوها الخلاب .. فارده جناح حبها ع الأهل والأحبـــاب

الذكري دايما لهم علي مدي الأيام .. مرت سنين وانقضت وذكرهم لم غاب

يا عباد الله .. وحدوا الله .. رمضان كريم

<u>التواحيـــــش</u> :

فـــي أواخـــر شـــهر رمضـــان كـــان المسحراتي يتغني وفي صوته مسحه الحزن بـــ {التواحيش} لقرب فراق الشهر الكريم ووداعه [2] .. فيقـــول :

لا أوحش الله منــــك ياشـــهر الصيـــام

لا أوحش الله منــــــك ياشهر القيــــــام

لا أوحش الله منـــك يا شهـــر العزائـــــم

---

[1]- شعر أحمد مرسي يونس ، ديوان عن المسحراتي السكندري ، مسحراتي من بلدي

[2]- عرفه عبده علي ، مرجع سابق ، ص ٤٢

لا أوحش الله منك ياشـــــهر الولائـــــم

لا أوحش الله منك ياشـــــهر الكرم والجود

كان الفنان " عبده الحامولي " حريصا علي الإفطار في حي سيدنا الحسين ثم يتسامر مـــع أصـــدقائه فـــي إحدي المقاهي البلدي ، وعقب آذان العشاء يصعد إلي منارة جامع مولانا الحســين وينشد من هذه التسابيح أو التواحيش وكانت العادة قد جرت في ذلك الزمان أن تؤدي مـــن أعلـــي مـــآذن القاهـــرة أو أبـــو العباس بالإسكندرية فكانت الساحة الممتدة أمام الجامع والمشـــربيات والشرفات تحتشـــد بالناس ٠٠ كانت الأنوار والزينات قليلة إذا قيست بما يحدث فـــي زماننا ٠٠ إلا أنها كانت أروع في العين وأوقع في القلوب لأنها كانت أعلق بالمعاني منها بالمباني ، وتحلق الأرواح في سماء الجلال مستمعين بفن الحامولي وصوته الفريد ينساب إلي المســـامع بكـــل الوقـــار مـــن خشية الله وكل الرجاء في فضله ومغفرته فتطرب القلوب ويأخذ بالألـــباب إلـــي عـــالم ليس من عالمنا ٠ ٠ كذلك كان الشيخ "علي محمود " القارئ ورائد فن الإنشاد يؤدي هذه التواحيش ويؤذن للصلوات الخمس من منارة جامع سيدنا الحسين رضي الله عنه ٠

ومـــن المعـــروف عن الشيخ " علي محمود " أنه كان شغوفا بفن الموسيقي والطرب فكـــان يؤدي هذه التسابيح قبيل آذان الفجر علي نهج خاص : فيوم السبت كانت نغمته "عشاق" ويوم الأحد نغمته " حجاز" والاثنين نغمته " سيكا " والثلاثاء نغمته "صبا أو شوري" والأربعاء نغمـــته " جـــركاه " والخميس نغمته " راست " والجمعة نغمته " بياتي " وقد بلغ حدا من جمال الصـــوت وأحكام الصنعة وبراعة التصرف في فن الإنشاد الديني والموشحات ، وهو أعظم من أنشـــد قصة المولد النبوي الشريف وكان رحمه الله من سكان شارع الباب الأخضر ٠٠ فإذا ما وطـــأت قدمـــاه ميدان سيدنا الحسين كان يخلع نعليه توقيرا لمقام سبط رسول الله ٠٠ وأشهر مســـحراتي في عصرنا الحديث الراحل الشيخ " سيد مكاوي " الذي تغني بإبداع الفنان العبقري الجمـــيل " فـــؤاد حداد " مخترع الشخصية الفنية للمسحراتي والتي صاغ ملامحها الرئيسية من صوت الضمير وصوت التاريخ وصوت المجتمع وصوت السماء وجوهر إبداع مسحراتي الوطن " فـــؤاد حداد " عشق الإنسان لوطنه هو في ذاته عشق للمثل الإنسانية العليا ٠٠ فملأت طبلته أرجاء مصر أنغاما ندية مفرحة ٠٠ طافت بأحياء الحسين والسيدة والقلعة وبولاق إلي القنطرة والعريش وأبو العباس ٠٠ولنستمع إلي أجمل وأرق ما أبدعه " فؤاد حداد " في ليل رمضان :

اصحي يانـــــايـــم	وقـــــول نويـــت	الشهر صايـــــم
وحـــــد الدايـــم	بكـــرة إن حييت	والفجـــر قايـــــم

إصحـــي ياتـايـــــم وحد الـــــرزاق رمضـــان كريـــم

خلص المدمس ٠٠ يامين يحمـــس ٠٠ لنا الوابـــــور

قامت الرقيـــقة ٠٠ أختي الشقيقـــة ٠٠ قالت دقيقـــة

والشـــاي يدور ٠٠ الله يخلــــي البرتقــــــانــــــه

طلبت أحلــي ٠٠ قالت لي أنا ٠٠ شـــوف الشـــعور

المشـــي طالـــب لــــي ٠٠ والدق علي طبلــــــي

ناس كانــــوا قبلــــي ٠٠ قالوا في الأمثـــــال

الرجـــــــل تـــــدب مطـــــرح ما تحـــــب

وأنا صنعتي مسحـــراتي ف البلـــد ٠٠ جـــــوال

حبيـــت ودبيـــت كما العاشـــق ليالي طـــــــوال

وكـــــل شـــبر وحتـــــه مــــن بلـــدي

حتـــــه مــــن كبــــدي ٠٠ حتـــه من مـــوال

أنا اللي شـــفت الرياح تســـكن قصـــب مســحور

شـــفت الجبال تنتقـــل والبحر يرمــــي بحـــــور

ولاشفت ليـــل ف الليالـــي ٠٠ زي ليل رمضـــان

وفي حي أبو العباس كانت في شهر رمضان الاستعدادات بإقامة الزينات علي واجهات المقاهي وكانـــت الســـرادقات تســـتعد بتمثيليات خاصة بشهر رمضان وكان البعض يلتقون في ساحات البـيوت القديمة التي تقع حول الحي ٠٠ وفي هذه الساحات كانت تقام صلاة الجماعة للتراويح ثـــم تـــتلوها حلقـــات الذكـــر التي يتصدرها منشدون من ذوي الأصوات الرخيمة حتي إذا فرغ الحاضـــرون من أذكارهم دارت عليهم أكواب القرفة ٠٠ الشراب المفضل في سهرات رمضان ، ومع احتساء أكواب القرفة يتباري الشعراء والزجالون في إلقاء قصائدهم وكثيرا ماكانت أزجال الزجالين تصحبها الفكاهات اللطيفة ٠

حضرة كل ليـلة :

كانت السهرة الرمضانية كل مساء عند جار أو صديق ٠٠ كانت سهرة موسيقية لكنها تأخذ الطابع الديني أو العكس فيما كانوا يسمونه باسم { الحضرة } والحضرة هي اجتماع فريق مـــن الأحباء في الله بشيوخهم الذين ينظمون لهم حلقات ذكر هادئة لطيفة تتخللها الأناشيد ممن حسنت أصواتهم ٠

كانــت الحضرة تبدأ بعد صلاة التراويح تبدأ بتقديم شراب القرفة الساخنة الذي (يسلك الحــناجر) وبعد تناول القرفة في أحاديث خاصة يبدأ تناول الاستفسار عن الصحة والأولاد ٠٠ ثــم يتصدر الشيخ القاعة التي تنتظم فيها هذه الحضرة في جلسة كجلسة التشهد في الصلاة ثم يضرب ركبته بكفه إيذانا بافتتاح الأذكار قائلا في نبرة ممدودة ٠٠٠ الله ٠

وبمنتهــي السرعة يكون كل البكوات والأفندية والمشايخ الحاضرين قد نزلوا من علي الكراســي أو عــن الشلت – حسب نظم البيت ــ للجلوس علي السجادة الكبيرة متأهبين لترديد اللفــظ الثالث الذي ينطق به الشيخ ولابد أن يكون هذا اللفظ من أسماء الله الحسني حيث يردد الشيخ والكل يتبعونه هذه الأسماء اسما اسما عشرات المرات ٠٠ حتي إذا ما تمت هذه الوجبة الروحــية فــي ساعة أو تزيد أمر صاحب البيت بالوجبة الثانية من شراب القرفة ، وغالبا ما تكون هذه الوجبة الثانية مصحوبة بأطباق الياميش ٠

وبيــن قزقزة الياميش وارتشاف القرفة يعود الحضور إلي أحاديثهم الخاصة وهنا لابد أن يلاحظ الشيخ أن أحدا ما قد تجاوز في الأحاديث الخاصة ما يليق بأدب رمضان فإذا به يرفع يــده مناديا : قولوا معي { استغفر الله } ثم يلي الاستغفار دعاء التوبة الذي يعودون بعده إلي وجــبة الأذكــار الثانية ، ولابد أن تتخلل هذه الوجبة وصلة من التواشيح الدينية من أحد ذوي الأصوات الجميلة ٠

ثــم يعود الكل إلي مقاعدهم لينصتوا إلي قارئ الحضرة وهو يتلو بعض آيات الكتاب إلــي ما قبل السحور بقليل حيث يبدأ الحضور في الإنصراف وهم يتواعدون علي اللقاء غدا أو بعــد غد عند صديق آخر ، وكان الذين ييسر لهم في الرزق يبدأون هذه الاجتماعات الرمضانية الســاهرة مــع طلقــة مدفع الإفطار حيث تكون الموائد ممدودة للقادمين حتي إذا ما أذن مؤذن البيــت آذان المغرب طاف أحد الخدم علي الحاضرين بطبق " البلح الأبريمي " الجاف ليأخذ كل مــنه ما يشاء لما كانوا يسمونه { شق الصيام } ثم يقومون لصلاة المغرب جماعة حتي إذا ما قضــيت الصــلاة تــناولوا افطارهم الذي كان عادة ينتهي بطبق الكنافة أو القطايف ثم يقومون لصــلاة العشــاء تــتلوها صــلاة التراويح ٠٠ ثم تبدأ { الحضرة } بعد قليل٠٠ ولقد كان هذا البرنامج كله يتم أحيانا خارج البيوت فاللقاء باتفاق سابق في أحد المساجد الكبري ٠٠ الإفطار في أحد مطاعم الحي ثم العودة إلي جناح خاص بالمسجد تتم فيه مراسم الحضرة كاملة بما فيها تــناول شراب القرفة وفي هذه الحالة كان يضاف إلي البرنامج فقرتان أخريان ٠٠ فقرة تناول طعام السحور في أحد المقاهي الكبيرة ثم العودة إلي المسجد لصلاة الفجر ٠

مؤتمرات رمضان :

كانــت هــذه تســمي سهرات الصالحين ٠٠ أما الذين كانوا وسطا بين حرارة الدين وحــرارة الدنيا فكانت لهم سهرات ذات طابع آخر ٠٠ كان الرجال من هذه الفئة يرون أن صلة الأرحــام مــن ســنن رمضان ٠٠ فكان أحدهم يقسم بيوت الأقرباء والأصدقاء علي طول أيام الشهر بحيث يزور كل بيت ليلة ٠٠ كانت هذه الزيارات تتسم بالطابع العائلي المتكامل ، الطابع الــذي تلتقي فيه الأسرة بكامل هيئتها من نساء ورجال وأطفال ٠٠ فما كان يتيسر هذا التكامل في غير سهرات رمضان ٠٠ وكان الزائر لا ينسي أن يحدد ليزورهم يوما من أيام الشهر يكون افطارهم وسهرهم عنده ٠

بــل لقــد كــان يتم في هذه الاجتماعات الأسرية ماهو أهم وأخطر ٠٠ لقد كانت هذه الاجــتماعات فرصــة لاستكشاف ميول شباب البيوت من الجنسين بعضهم نحو البعض ، وكان استكشاف هذه الميول ينتهي عادة بأن تتمايل الرءوس " رءوس الآباء أو الأمهات " بالهمسات بأنهــا ــ أي بنت البيت لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها ــ فإذا كانت هذه الهمسات مصحوبة برضــا العيون من الآباء والأمهات كان هذا إيذانا بتحديد موعد {قراءة الفاتحة } وكانت قراءة الفاتحة تعني أن خطبة قد تمت بين ابنة فلان وابن فلان ٠٠ أما {كتب الكتاب } أي عقد القران فكانت التقاليد تمنع عقده في رمضان لا لأنه محرم في هذا الشهر لكن لأنه يكون عادة مصحوبا بالــزغاريد والطــبول التي لا تليق مع وقار الشهر الفضيل ٠٠ وهكذا كان شهر رمضان شهر الحــب بيــن الجميع ٠٠ كل علي طريقته فعشاق الفنون يمارسون عاطفتهم في دنيا الفنون ، وعشــاق الصوفية يمارسون عشقهم في الحضرة ، وعشاق التكامل العائلي يمارسون تكاملهم في هذه السهرات العائلية ٠

رمضان سجن العفاريت :

ما من أحد كان يحتفل بقدوم شهر رمضان ٠٠ كما كانت تحتفل به السيدات والآنسات في الجيل الماضي ، كانت الغالبية منهن يظهرن في نهار رمضان بلا مساحيق ولا وسائل أخري للزيــنة ٠٠ لقــد كــان الاعتقاد السائد أن الزينة مفطرة ، وكانت لرمضان بركات خاصة في مجــتمع بنات البلد حيث كانت تكثر قبل حلول رمضان حفلات الزار وعمليات الاسحار ٠٠ هذه الحفــلات والعملــيات كانت تتوقف تماما ابتداء من ليلة (الرؤية) لأن الاعتقاد السائد بينهم أن رمضــان المعظــم يسلسل (الاسياد) بسلاسل تمنعهم عن الحركة خلال أيام رمضان الثلاثين ، وكانــت بــنات الــبلد يستبدلن بهذا اللون من النشاط نشاط آخر طوال أيام رمضان هو زيارة أضــرحة الأولــياء ، وهــناك كانــت تــروج تجارة الأحجبة التي تمنع الحسد وتعمي عيون

منافســاتهن علــي الــرجال ، وكما كانت تروج في أوساط هؤلاء النساء تجارة الأحجبة كانت تروج أيضا تجارة البخور ، وكان من أجمل الأوضاع في الأحياء الشعبية أن تشم ساعة إطلاق مدفــع الإفطار رائحة البخور تنبعث من وراء الجدران ، وكانت بنت البلد في رمضان سيدة من ســيدات الموقــف فهي التي (تثقف) السيدات الأخريات في حكمة البخور وهي التي تفتيهن في الحــلال والحــرام ورغم ما كان يتكرر في هذه الثقافة الساذجة من أخطاء إلا أنها كانت مظهرا من مظاهر التضامن الاجتماعي النابع من فلسفة رمضان .

أحاديث رمضان النسائيــة :

علــي أن المجــتمع النسائي في رمضان كان أظهر ما يكون في المساء .. لقد كانت ليالي رمضان في الجيل الأسبق بمثابة ليالي الأفراح بالنسبة للمرأة .. كانت التقاليد تجعل سير النساء في المساء وحدهن أمرا مكروها طوال العام لكن إذا ما أقبل رمضان كان خروج النساء إلــي الطــريق في تنقلاتهن بين البيوت والمحال العامة شيئا عاديا ، وكان من بركات رمضان علي النساء أن تقليد " يوم المقابلة" الذي كان قاصرا علي الأسر الكبيرة ينتقل إلي جميع الأسر المتوســطة ومــا فوقهــا ومــا دونها أيضا كل ربة بيت كانت تحدد لها يوم مقابلة (أسبوعي) لصديقاتها حيث تقضي الصديقات السهرة كاملة عندها .

وفــي السهرة كان للأحاديث الرمضانية طعم آخر غير أحاديث الأيام الأخري ، أحاديث الأيــام الأخــري كانت تدور بالطبيعة حول الموضات غالبا .. أما أحاديث رمضان فكانت تدور حــول الموائــد ومــا علــيها من القطائف والكنافة والخشاف وكيف تتفنن كل واحدة في صنع أصنافها .

كانــت هــذه الأحاديــث تجري بين طرقعة الكسارة التي يكسر بها الياميش من اللوز والجــوز وعيــن الجمــل وكلها من المواد التي تدعو للبدانة ، لكن السمنة كانت موضة الجيل الأسبق عند النساء .. لقد كانت نحيفة القوام تتهم بأنها مريضة لا تملأ عين الرجل.. فالرجل كــان دائمــا موضع أحاديث المجتمع النسائي حتي في سهرات رمضان النسائية وكان الأطفال وخاصة منهم البنات الذين يسترقون السمع من خلف الأبواب إلي هذه الأحاديث يسمعون عجبا يســمعون عــن فلانــة التي يذوب زوجها حياته فيها .. بدليل أنها طلبت منه مضاعفة كمية الياميش في هذا العام ، فلم يثر ولم يغضب واستدان لكي يلبي طلبها وفلانة التي طلبت مثل هذا الطلــب فهددهــا زوجها بأن يتزوج عليها من عروس أخري .. الخ .. لكن كان يحدث بين الحين والحين أن تنتبه احداهن بأنهن أوغلن في الاغتياب فتقف بينهن واعظة مرددة آية التوبة لكي يرددنها الأخريات .

كتابات الرحالــة عن مظاهر رمضان

الرحالة الأوروبيون من خلال رؤيتهم لأحوال المجتمعات الشرقية ، وما تمثله من عالم غريــب حــافل بكــل مــاهو مثــير ــ من وجهة نظرهم ــ قد عنوا برصد كل مظاهر التقاليد والمعــتقدات الشعبية المتوارثة وكان بينها مظاهر الاحتفال بشهر رمضان ، وقد شهد الرحالة البندقــي " برناردي بريد نباخ " ليالي رمضان في القاهرة ــ منتصف القرن الخامس عشر ــ ووصــف مظاهر بهجة الناس بهذا الشهر إنارة المساجد والدروب والإنشاد وحلقات الذكر ودق الدفــوف حتــي تعــذر علــيه النوم ٠٠ كما لاحظ أن الأسواق والحوانيت ومطابخ الطعام تظل مفتوحة طوال ليالي شهر رمضان ٠

كذلك الرحالة الإيطالي " فيلكس فابري " الذي زار مصر عام ١٤٨٣ م فقد أعرب عن دهشته ليلة دخوله القاهرة لكثرة ما رأي بشوارعها من الأنوار والمشاعل والفوانيس المختلف ألوانهــا وأشــكالها يحملهــا الكبار والصغار ، ولما استفسر عن ذلك الصخب قيل له أنه شهر رمضــان وأن المسلمين يحتفلون به علي هذا النحو الخاص وشاهد المسحراتي ــ الذي اعتقد أنه أحد رجال الدين ــ حيث كان يمر ثلاث مرات في الشوارع ليلا ومعه طبلة يدق عليها مناديا الناس بأسمائهم ٠

ويقول الرحالة الفرنسي " جان بالبرن G. Paler ne " الذي زار مصر عام ١٥٨١ : "يحرص المصريون في رمضان علي توزيع اللحوم والصدقات علي الفقراء ويتبادلون الزيارات والسهرات ويقومون بإنارة فوانيس كبيرة ملونة أمام المنازل والحوانيت وفي المساجد ٠

وقــد حــرص بعض هؤلاء الرحالة علي استئجار غرفة في شارع رئيسي ليتمكن من متابعة الاحتفالات بهذا الشهر ، وقد وصف الفرنسي : " فيلامون Villsmont " عام ١٥٨٩ بعــض مظاهــر الاحتفالات هذا الشهر ٠٠ مواكب دراويش الصوفية وحلقات الذكر والمساجد المضاءة وزحام الأسواق ومآدب الافطار التي يدعي إليها الأصدقاء ، ويصف المصريون بالكرم ولديهم عادة جميلة إذ يجلسون علي الأرض ويأكلون في فناء مكشوف أو أمام بيوتهم ويدعون المارة إلي الطعام في صدق وحرارة ٠

أمــا العالم والمهندس والمؤرخ الشهير " فرانسوا جومار F. gomsrd " أحد العلماء الذيــن صــحبهم نابليون في حملته إلي مصر فيقول : " تحيا الأعياد الدينية في القاهرة ببذخ شــديد فالــناس جمــيعا يعلمــون أن رمضان هو شهر الصوم فيمتنعون عن الطعام والشراب والتدخيــن والاستمتاع بأية تسلية بين شروق الشمس وغروبها ولكن هذا الحرمان الذي يطول أو يقصــر حســب الفصــل يتبعه استمتاع كاف لنسيان هذا الحرمان ويحتفي المسلمون بليالي

رمضان بينما يحضرون خلال النهار — في جماعات كبيرة — وبورع شديد دروس الفقه بالمساجد ، ومنهم من يتشاغل بالعمل وفي الغالب بالنوم ٠٠ وفي المساء تبدو الشوارع مضاءة صاخبة ويجتمعون لتناول الحلوي والمشروبات والتدخين وينغمسون في كل ألوان التسلية وتظل الأسواق والمقاهي مفتوحة حتي أذان الفجر ٠

إدوارد لين أو " منصور أفندي !

المستشرق البريطاني الشهير " إدوارد لين – E. Lane الذي شغف بمصر واختلط بناسها وتأثر بعادات وتقاليد مجتمع القاهرة حتي أنه شارك المسلمون صلاتهم بالمساجد وفي حلقات الذكر راصدا تفاصيل الحياة اليومية وسمي نفسه " منصور أفندي" فقد تحدث عن مشاهدته لطقوس ليلة رؤية هلال رمضان عام ١٨٣٥ فيقول [1]: " والليلة التي يتوقع أن يبدأ صبيحتها الصيام تسمي ليلة الرؤية ٠٠ فيرسل عدد من الأشخاص الثقات إلي مسافة عدة أميال في الصحراء حيث يصفو الجو لكي يروا هلال رمضان ٠٠ بينما يبدأ من القلعة موكب الرؤية الذي يضم المحتسب وشيوخ التجار وأرباب الحرف : الطحانين والخبازين والجزارين والزياتين والفكهانية تحيط بهم فرق الإنشاد ودراويش الصوفية وتتقدم الموكب فرقة من الجنود ويمضي الموكب حتي ساحة بيت القاضي ويمكثون في انتظار من ذهبوا لرؤية الهلال ، وعندما يصل نبأ ثبوت رؤية هلال رمضان يتبادل الجميع التهاني ثم يمضي المحتسب وجماعته إلي القلعة بينما يتفرق الجنود إلي مجموعات يحيط بهم " المشاعلية " والدراويش يطوفون بأحياء المدينة وهم يصيحون : يا أمة خير الأنام ٠٠ صيام صيام ٠٠ أما إذا لم تثبت الرؤية في تلك الليلة فيكون النداء : غدا متمم لشهر شعبان ٠٠ فطار فطار "

وأشار " لين " إلي صمت الشوارع وتراخي حركة الحياة نهارا وقبيل المغرب توضع مائدة الإفطار — طوال شهر رمضان — في غرفة الاستقبال حيث يستقبل رب الدار ضيوفه وتعد صينية فضية كبيرة تزدان بأطباق المكسرات والزبيب والحلوي وأواني الشربات والماء وفي الحسبان دائما الضيوف الذين قد يهبطون بغتة ٠٠ وتجهز أدوات " الشوبك " للتدخين وبعد أذان المغرب يتناول رب الدار مع أسرته وضيوفه أكوابا من شراب الورد أو البرتقال ثم يؤدون صلاة المغرب وبعدها يتناولون شيئا من المكسرات ويدخنون ٠

وبعد تناول شراب منعش يجلسون لتناول افطارهم ٠٠ غالبا من اللحوم وأطايب الطعام ثم يؤدون صلاة العشاء ويعقبها صلاة التراويح التي تؤدي جماعة في المسجد ثم يتدفق

---

[1] - رمضان في الزمان الجميل ، مرجع سابق ، ص ٩٥



الـناس إلـي الشـوارع ويتحول الليل إلي نهار ويرتاد العامة المقاهي ليستمعوا إلي المنشدين ورواة السير الشعبية ،.ويعقد دراويش الصوفية حلقات الذكر وختمة القرآن في منازل شيوخهم كل ليلـة .

ويـدور المسحراتي في كل ليلة ولكل منطقة مسحراتي خاص بها .. يطلق المدائح لأربـاب المـنازل ممسـكا بيده اليسري " بازا " صغيرا وبيده اليمني عصا أو قطعة من الجلد يضرب بها عند كل وقفة ثلاث مرات يرافقه صبي يحمل فانوسين .. موحدا الله ومصليا علي الرسـول ﷺ اصـح يـاغفلان .. وحد الرحمن .. أسعد الله لياليك " يافلان " داعيا بالتقبل والحفظ لأهل الدار ولا يذكر أسماء البنات وإنما يقول : أسعد الله لياليك ياست العرايس .

ويضيف " إدوارد لين " أن نساء الطبقة المتوسطة كن يضعن قطعة نقود معدنية داخل ورقة ملفوفة ويشعلن طرفها ثم يلقين بها من المشربية إلي المسحراتي – حتي يري موضعها – فينشد لهن بعض من المدائح النبوية أو حكايات المعارك بين الضرائر.

وأشـار أيضا إلي دعاء " الأبرار " من وفوق المآذن عقب صلاة العشاء والذي يشمل الآيـة القرآنية :{ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله } والدعـاء الثانـي كـان نحـو منتصف الليل ويسمي "السلام" عبارة عن مجموعة أدعية وثناء وصلوات علي رسولنا الكريم .

وتحـدث " إدوارد لين " عـن العشر الأواخر من رمضان وقال إن غالبية المؤمنين يفضـلون قضـائها فـي جامع المشهد الحسيني وجامع السيدة زينب ، وأضاف : إحدي هذه الليالي وهي الليلة السابعة والعشرين تعرف بليلة القدرة وهي الليلة التي نزل فيها القرآن علي محمد – وهي خير من ألف شهر – ويعتقد المسلمون أن أبواب السماء تكون مفتوحة في هذه الليلة فيستجاب فيها الدعاء .

ومـن غريب ما رواه ذلك الاعتقاد بأن الماء المالح يتحول إلي ماء حلو سائغ شرابه فـي هذه الليلة المباركة .. فيجلس الاتقياء في هذه الليلة بخشوع كبير وأمامهم إناء فيه ماء مـالح وبين حين وآخر يتذوقون طعمه ليروا إن أصبح حلو المذاق فيتأكدون أن هذه الليلة هي "ليلة القدر "

<u>ريتشـارد بيرتـون</u> :

يقـول العـالم والـرحالة المستشـرق الإيرلندي " ريتشارد بيرتون" خريج اكسفورد والضـابط بالجيش البريطاني في الهند ، وقد قام برحلات استكشافية في شرق وغرب أفريقيا ، وجزيـرة العـرب ووصـل إلي مصر سنة ١٨٥٣ تراعي مختلف الطبقات شعائر هذا الشهر

بـإخلاص شـديد ــ رغم قسوتها ! ــ فلم أجد مريضا واحدا اضطر ليأكل حتي لمجرد الحفاظ علـي حياته ٠٠ وحتي الآثمين الذين كانوا قبل رمضان قد اعتادوا السكر والعربدة ــ حتي في أوقـات الصلاة ــ قد تركوا ماكانوا فيه من إثم فصاموا وصلوا ٠٠ والأثر الواضح لهذا الشهر علـي المؤمنين هو الوقار الذي يغلف طباعهم وعند اقتراب المغرب تبدو القاهرة وكأنها أفاقت مـن غشـيتها فيطل الناس من النوافذ والمشربيات يرقبون لحظة انطلاق مدفع الإفطار بينما البعض منهمك في صلواته وتسبيحه وآخرون يتحلقون في جماعات أو يتبادلون الزيارات [1] ٠

أخـيرا ٠٠ انطلـق مدفع الإفطار من القلعة يا للسعادة ويجلجل صوت المؤذن داعيا الناس إلي الصلاة ثم ينطلق المدفع الثاني من قصر العباسية " سراي عباس باشا الأول" وتعم الفـرحة أرجـاء القاهـرة التي كانت صامته وينتقل أحساس الترقب المبهج إلي اللسان الجاف المعدة الخاوية والشفاة الواهنة فتشرب " قلة " من الماء ٠٠ ثم تصفق طالبا ــ في عجلة ــ الشيشة وقدحا من القهوة ٠٠ ثم تنتظر مباهج المساء ٠

البرت فارمان :

صـدر " البرت فارمان " في يومياته الحياة السياسية والاجتماعية في مصر في نهاية عصر إسماعيل وبداية عهد محمد توفيق ، وكان فارمان قنصلا عاما للولايات المتحدة الامريكية مـنذ عام ١٨٧٦ وقضي بمصر خمس سنوات وعن انطباعاته التي سجلها عن شهر رمضان ومظاهر الاحتفال به يقول [2] : " شهر رمضان يبدأ فيه سفر الحجاج حيث يعدون أنفسهم للقيام بهـذا الواجب المقدس وهو الشهر الذي نزل فيه الوحي علي إبراهيم ، وبعث فيه بالتوراة إلي موسي وبالإنجيل إلي عيسي وأنزل فيه القرآن علي محمد ، وفيه تفتح أبواب السماء للتائبين

ولإثبات أول يوم في رمضان يجب رؤية الهلال عمليا فيخرج الرجال إلي التلال العالية خلـف القلعة ، بمجرد أن تثبت لهم رؤية الهلال يعودون بالبشري ولابد من إثبات ذلك كتابة ، وصدور إعلان من أصحاب المقامات الرفيعة المجتمعين ببيت القاضي ٠٠ وتنطلق المدافع من القلعة وتسير المواكب الرسمية والشعبية المبتهجة في أرجاء العاصمة معلنة بدء صيام رمضان

وعـندما توشـك السـاعات المضـنية من النهار ــ شديد الحرارة ــ علي الانتهاء ينتظرون في صمت دوي مدافع القلعة وتجلجل أصوات المؤذنين والظمأ هو أول ما يجب إطفاؤه بجـرعة من ماء النيل المقدس وتشعل السجاير ويعد البلح والفاكهة والمشروبات المرطبة ٠٠ ثـم ينهمك الجميع في أطايب الطعام ، وفي رمضان تؤجل الأعمال الشاقة والمطاعم والمقاهي

1- المرجع السابق ، ص ٩٧

2- نفسه ، ص ٩٨



فـي ذروة رواجها وتزدان الشوارع والبيوت والمساجد بالأنوار ، وتمضي ثلاثون يوما ثم يعلن مدفـع القلعـة انـتهاء الصيام .. وفي صباح اليوم التالي الموافق أول شهر شوال يبدأ العيد الصـغير .. ثلاثـة أيام هي موسم للزيارات والمقابلات والاحتفالات وارتداء الملابس الجديدة وتقديـم الهدايـا إلـي الأطفـال والخدم والفقراء وتبادل صواني الكعك بالسكر كتقليد مصري متوارث .

المسحراتي في بعض الدول الأخرى :

السعودية : يوقـظ المسـحراتي النائمين بقوله : { ربي قدرنا علي الصيام واحفظ إيماننا بين القوم }

اليمـن : يتولي التسحير أحد الأهالي بالحي حيث يدق بالعصا علي باب البيت وهو ينادي علي أهله قائلا : { قوموا كلوا }

الكويـت :يقـوم المسحراتي الذي يسمي أبو طبلية بالتحسير ومعه أولاده فيردد بعض الأدعية وهم يرددون عليه .

عمـان : يوقظ المسحراتي النائمين بالدق علي الطبلة أو الناقوس وهو يقول :

" يانايمين الليل قوموا اتسحروا .. سحور يامسلمين سحور صائمين "

سوريا ولبنان و فلسطين : المسحراتي يوقظ النائمين بإطلاق الصفافير وقبيل رمضان يطوف علـي البـيوت ويكتب علي باب كل بيت أسماء أفراده حتي يناديهم بأسمائهم أثناء السحور .

السـودان : يطرق المسحراتي البيوت ومعه طفل صغير يحمل فانوسا ودفترا به أسماء أصحاب البـيـوت حيـث يـنادي عليهم بأسـمائهم قائلا : { يا عباد الله وحدوا الدايم ورمضان كريم }

تاريخ الاحتفال بعيد الفطر في مصر

توارثـت الأمة الإسلامية ـ عبر عصور تاريخية مختلفة ومتصلة ـ الاحتفال بالأعياد الدينـية والقومـية .. وذاكرة تاريخ مصر مازالت تحتفظ بتفاصيل مواكب ومشاهد الاحتفالات الرسـمية والشـعبية بهذه المناسبات منذ عصر الدولة الفاطمية .. كانت الاحتفالات الفاطمية الـباذخة ترتكـز علي إظهار قوة الخليفة وسلطانه كحاكم إلي جانب نفوذه الديني ، وكان "عيد الفطـر" مـن المناسبات التي يخرج فيها الخليفة من قصره في موكب مهيب يبدأ من " رحبة العـيد" ، وكانـت هذه الرحبة في الربع الشمالي ـ الشرقي من القصر الشرقي الكبير ـ يخرج الخلـيفة فـي أبهي زينته بين كوكبة من الحاشية والحرس الخاص وأربعون من النافخين في الأبواق { عشرة أبواق من الذهب وثلاثون من الفضة } وكان يطلق علي عيد الفطر ـ في هذا الزمان ـ عيد الحلل حيث توزع فيه الخلع والعمائم والملابس من " دار الكسوة "[1] علي رجال البلاط وعامة الناس بينما في غير هذا العيد توزع علي الأمراء والخاصة فقط .

سـماط الخليفة :

كـان الخلـيفة الفاطمي يتصدر " السماط الرسمي " الذي يقام في قاعة الذهب بالقصر الفاطمـي الشـرقي وكان يوضع علي السماط الملكي أواني رائعة من الذهب والفضة والصيني يتوسطها ٢١ طبقا ضخما في كل واحد منها ٢١ خروفا و ٣٥٠ من الدجاج ومثلها من الحمام في أطباق من الخزف الفاخر إلي جانب كميات من اللحوم التي أعدت في مطابخ القصر وكميات هائلـة من الحلوي والكعك والشربات أعدت في "دار الفطرة " ويستمر السماط إلي ما قبل صلاة الظهر ولا يرد عنه أحد من الناس حتي ينفذ عن آخره

وقد وصف عدد من المؤرخين هذا السماط الذي كان يحمل في احتفال عظيم يوم وقفة العـيد يشـق بـه الشـارع الأعظـم { المعز لدين الله حاليا } حوله المجانية وأفراس الخيال والسودان والطبالون ويجتمع الناس في الشوارع لمشاهدته .

عصر الدولة العثمانية :

في عصر الامبراطورية العثمانية كان الاحتفال الرسمي يبدأ عقب أداء صلاة فجر أول أيام العيد حيث يصعد أمراء الدولة والقضاه في موكب إلي القلعة ويتوجهون إلي جامع الناصر محمـد بن قلاوون داخل القلعة لأداء صلاة العيد ثم يصطفون لتهنئة الباشا ، وفي اليوم التالي كان الباشا ينزل للاحتفال الرسمي بالعيد في " الجوسق" المعد له بميدان الرميلة "القلعة" والذي فـرش بأفخـر الوسـائد والطنافس ويتقدم لتهنئة الأمراء الصناجق { كبار البكوات المماليك} .

[1] ـ عرفه عبده علي ، مرجع سابق



والاختـيارية { كـبار الضـباط } وكـتخدا اليـنكجرية { الانكشارية } وتقدم القهوة والحلوي والشربات وتطلق روائح المسك والبخور ثم يخلع الباشا علي أرباب المناصب والأمراء ٠٠ كما يأمر بالإفراج عن بعض المساجين ٠

ويسهر الناس ليلة العيد في ابتهاج وسرور وقد أعدوا الكعك والحلوي لتقديمها للأهل والـزوار ويأخذ رب الأسرة زينته ويصطحب أولاده إلي المسجد لأداء صلاة العيد ، وكان من المعتاد تناول السمك والفسيخ في أول أيام العيد ومازالت هذه العادة شائعة ٠٠ كما اعتاد الناس

هذه الصورة لندوة بالقاعة الكبري بنادي اسبورتنج بالإسكندرية

زيـارة المقابـر للتصدق علي أرواح موتاهم وإشعارهم بالأنس والمحبة ويحرص الشباب علي الخـروج فـي جماعـات للنزهة في النيل كما يشهد خليج القاهرة وبركة الأزبكية وبركة الفيل وجزيـرة الروضة إزدحاما هائلا ويشير المؤرخ " عبد الرحمن الجبرتي " إلي أن مدافع القلعة كانت تطلق طوال أيام العيد الثلاثة فى الأوقات الخمسة ٠



الكعك وطلعة عيـد الفطر

في الثلث الأخير من شهر رمضان يبدأ الناس في الإعداد لعيد الفطر وأبرز مظاهر هذه الاســتعدادات " كعك العيد " ويروي أن عادة صنع الكعك ترجع إلي عصر مصر الفرعونية حيث كـانوا يضعونه مع الموتي داخل المقابر وكانوا ينقشون علي الكعك رسم الشمس "آتون" التي عبدوها لزمن طويل علما بأن القاهرة الإسلامية قد عرفت فكرة القوالب فمتحف الفن الإسلامي يحتفظ ببعض منها مكتوب عليه : " بالشكر تدوم النعم" ٠٠ " كل هنيئا " ٠٠ " كل واشكر " [1] ٠

أمـــا في الأعياد فكانوا يشكلونه علي هيئة عرائس ومازال هذا التقليد متبعا في بعض قري وريف مصر حيث تصنع الأم عددا من العرائس بعدد أطفالها ٠

كذلــك تحــرص الأمهـــات ـــ حتي الآن ـــ خاصة في الأحياء الشعبية علي أن يرسلن لبناتهن المتزوجات حديثا في ليلة أول عيد عقب عرسهن بسلة أو صينية كبيرة مملوءة بالكعك يطلق عليها " الزيارة " أو عيدية الكعك ٠

وفـــي " طلعـــة العـــيد " تحرص المصريات ـــ خاصة في الريف وصعيد مصر ـــ علي تقديـــم كعـــك علـــي هيئة " حلقات " مغطاة بالسكر ليوزع علي الفقراء بالمقابر ففي معتقداتهن المتوارثة أن "ملاك الرحمة" يقوم بتعليقها من منتصفها في أحد فروع شجرة الحسنات ٠

مع " منصور أفندى ":

عـــن انطباعاته بالنسبة لعيد الفطر يقول المستشرق الرحالة البريطاني الشهير "إدوارد ليـــن " أو " منصور أفندي " في فبراير سنة ١٨٣٤ يحتفل المسلمون في الثلاثة الأيام الأولي مـــن شهر شوال بالعيد الصغير ٠٠ هذا العيد الذي يعلن انتهاء صوم رمضان فيحتشد المصلون بعـــد طلوع الشمس مباشرة في أبهي حلة في المساجد ويؤدون ركعتين سنة العيد تليها الخطبة ويهنـــئ الأصدقاء بعضهم البعض الذين يلتقون في المساجد وفي الشوارع ويتبادلون الزيارات المنزلية ويحرص الجميع علي ارتداء ملابس جديدة حتي أدني الطبقات فهو تقليد يشمل الجميع ولو اقتصر الأمر علي شراء حذاء جديد فقط [2] ٠٠ كذلك يقدم أرباب البيوت ثيابا جديدة لخدمهم الذيـــن يحصـــلون أيضـــا علي " العيدية " من الزوار الذين أتوا للتهنئة بالعيد ويأكل معظم أهل القاهـــرة أيام العيد الكعك ، الفطير ، الشريك ، السمك المملح ، وكميات هائلة من المكسرات والـــبعض يفضـــل أطباقا من اللحم والبصل والطحينة ومعظم المحلات تغلق أبوابها خلال أيام العيد ٠

---

[1] ـ المرجع السابق ، ص ١٠٣

[2] ـ نفسه ، ص ١٠٤



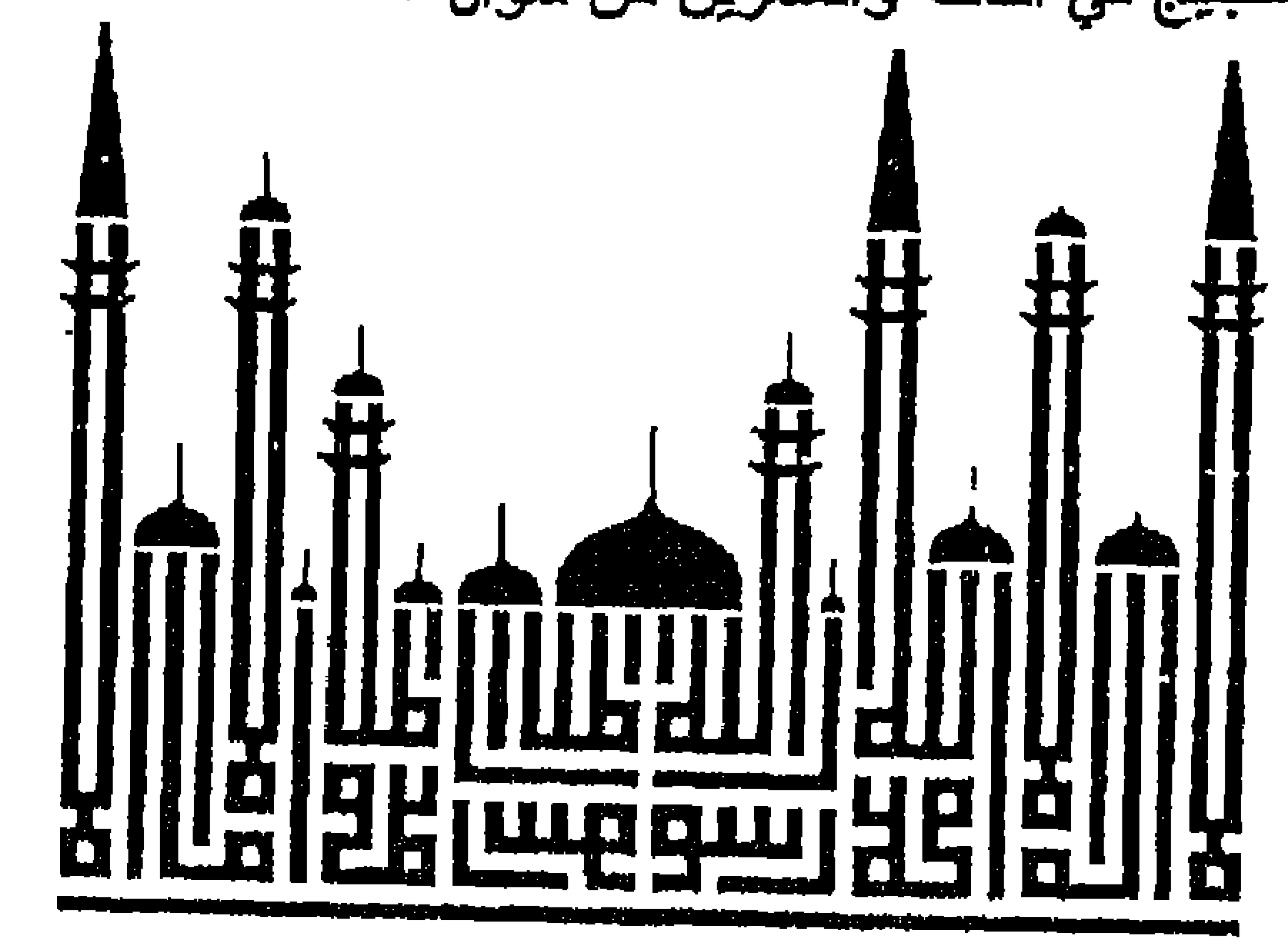
وتقوم بعض العائلات ـ خاصة النساء ـ بزيارة مقابر موتاهم وتكثر مشاهدة النساء في صباح العيد ، وفي المناسبات الدينية الأخري في طريقهن إلي المدافن بضواحي القاهرة حاملين سعف النخيل وباقات الريحان لوضعها فوق القبور ويحملن أيضا سلال الفطير والكعك والشريك والتمر لتوزيعها علي الفقراء الذين يكثرون في المدافن في هذه المناسبات ، وقد يقيم البعض خياما بجوار القبر إذا كانت الزيارة ستستمر اليوم بأكمله وربما تمتد إلي صباح اليوم التالي .. كذلك تفعل بعض العائلات التي تملك مدافن خاصة تتوافر بها أماكن للإقامة وراحة النساء وتشهد قرافة باب النصر علي الطريق الصحراوي بشمال القاهرة نشاطا مكثفا في العيدين .

وينطلق الناس في بهجة ومرح وفي كل منطقة تري تجمعات تستمتع بمشاهدة رواة القصص والسير الشعبية والغناء ورقص العوالم والمهرجين والبهلوانات والألعاب السحرية والمصارعين والأراجوز والقرداتية والحواه وسباقات الخيل والرماية .

البرت فارمان :

" البرت فارمان " قنصل عام الولايات المتحدة الأمريكية في مصر عام ١٨٦٩ في عهد الخديوي إسماعيل ـ فقد يضيف " بروتوكول " استقبال الخديوي للمهنئين فيقول [١] :

" في الساعة السادسة من صباح يوم العيد تبدأ مقابلات الخديوي باستقبال كبار ضباط الجيش ثم يتقدم الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة والعلماء والقضاة وكبار التجار والأعيان ـ طبقا لترتيب أعد مسبقا ـ ونحو الساعة الحادية عشر يتقدم بالتهنئة قناصل الدول الأجنبية الذين تقدم لهم القهوة ويدخنون النارجيلة ويتبادلون حديثا وديا مع الخديوي وعقب العيد تعد العدة لخروج المحمل وموكب الحجيج في الثالث والعشرين من شوال .



١ - نفس المرجع ، ص ١٠٥

الخاتمـــة

أولا : من وصايا أبو العباس :

- إن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر ٠
- أصحبوني ولا أمتعكم أن تصحبوا غيري فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوا ٠
- الطمع ثلاثة أحرف كلها مجوفة فهو بطر كله فلذلك صاحبه لا يشبع ٠
- طريقنا المداومة علي الذكر وترك الغيبة وسوء الظن بعباد الله فمن واظب علي ذلك رزقه الله من حيث لا يحتسب ٠
- أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القــدر ٠
- الفقيه من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه ٠
- السماء عندنا كالسقف والأرض كالبيت وليس الرجل عندنا من يحصره هذا البيت ٠
- الضعيف من لا إيمان له ولا تقوي ٠

ثانيا : شهادة العلماء لأبي العباس :

- يقول الإمام أبو الحسن الشاذلي : " أبو العباس بطرق السماء أعلم منه بطرق الأرض"
- يقول ابن عطاء الله الإسكندري :

علمت أن الرجل إنما يغترف	من فيض بحر إلهــي ومدد رباني
أولياء الله لــم ينقرضـــوا	إن حزب الله غير منهــــــزم
قد رأينا كلهم في واحـــد	ذي بهاء ووفـــاء وهمـــــم
بأبي العباس زالت كربـــة	عن قلوبنا وانجابـــت ظلـــم

- قــال عــنه الإمـــام " أحمد بن المقري القرشي المكني بأبي العباس والملقب بشهاب الدين والمتوفــي ســنة ١٠٤١هــ وصاحب كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب الولي العارف بالله الشهير بالكرامات وهو من أكابر الأولياء ٠
- قال الصفدي في الوافي : أحمد بن عمر بن محمد الشيخ أبو العباس المرسي وارث شيخه الشاذلي تصوفا الأشعري معتقدا لأهل مصر ولأهل الثغر فيه عقيدة كبيرة ، كان يكرم الناس علي حسب رتبتهم عند الله تعالي [1]
- قال الشيخ أبو العباس الدمنهوري عنه : أبو العباس المرسي ملك من ملوك الآخرة [2]

1- جـ٢/بـ٥/ص ١٩٠ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب
2- مخطوطة لطائف المنن ص ١٢٦ سطري رقمي ٥ ـ ٦

- قـال الشـيخ الحـافظ جلال الدين السيوطي عنه : قطب زمانه ورأس أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي ..
- قـال عنه أبي العباس أحمد المكناسي الشهير بابن القاضي { ٩٦٠ - ١٠٢٥هـ } صاحب ذيـل وفيات الأعيان المسمي (درة الحجال في أسماء الرجال) الولي الصالح الزاهد العابد كان مشهورا بالعلم والصلاح .
- قـال عـنه أ.د جمـال الدين الشيال { هذا الصوفي الكبير والعالم المبارك ظل قبره مقصد الزوار [1] للتبرك } .
- قـال عنه أ.د السيد عبد العزيز سالم { هو الشيخ الأكبر العارف الزاهد قطب زمانه ورأس أصحاب [2] الشاذلي }
- قـال عنه الكاتب التاريخي " نيقولا يوسف " وهو مسيحي هو الشيخ العارف بالله نشأ في بيـئة صـالحة أعدته للتصوف كان نافذ الفراسة سريع الخاطر حسن السمت نظيف الثوب جمـيل المـنظر كثـير الوقار يأسر سامعيه في كلامه ـ يكره النفاق والرياء .. اقترن مسـجده بـتاريخ مصر الحديث وبخاصة ثورة سنة ١٩١٩ فكانت تخرج منه المظاهرات عقب صلاة الجمعة .
- قال عنه شيخ الأزهر " السابق " الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود { عالم تنبع أصوله من وحي السماء وهو من الذين يحاولون أن يكونوا بقدر الاستطاعة ورثة الأنبياء علما وورثة الأنبياء سلوكا وورثة الأنبياء أحوالا ومقامات }
- يقول شرف الدين البوصيري يمدح شيخه وأستاذه :

شرفا لشاذلة ومرسية سـرت	لهما الرياسة من أجـل رئيـس
ما إن نسـبت إليها شيخيهما	إلا جلوتهمـا جــلاء عروس
شرفا لمرسـيه رست أساسها	بعلا أبـي العباس فوق الفرقـد
فأصبحت أبا العباس أحمد آخذا	يد عارف بهـوي النفوس منجد
فإذا أتيت علي الخبير بدائهـا	فاصبر لمـر دوائهـا وتجلـد
مازال يعطفهـا علي مكروهها	حتي زكت وصفت صفـاء المسجد
قل للذين تكلفـوا زي التقـي	وتخيـروا للدرس ألف مجلـد
لا تحسبوا كحل الجفون بحلية	إن المها لم تكتحـل بالأثمـد

---

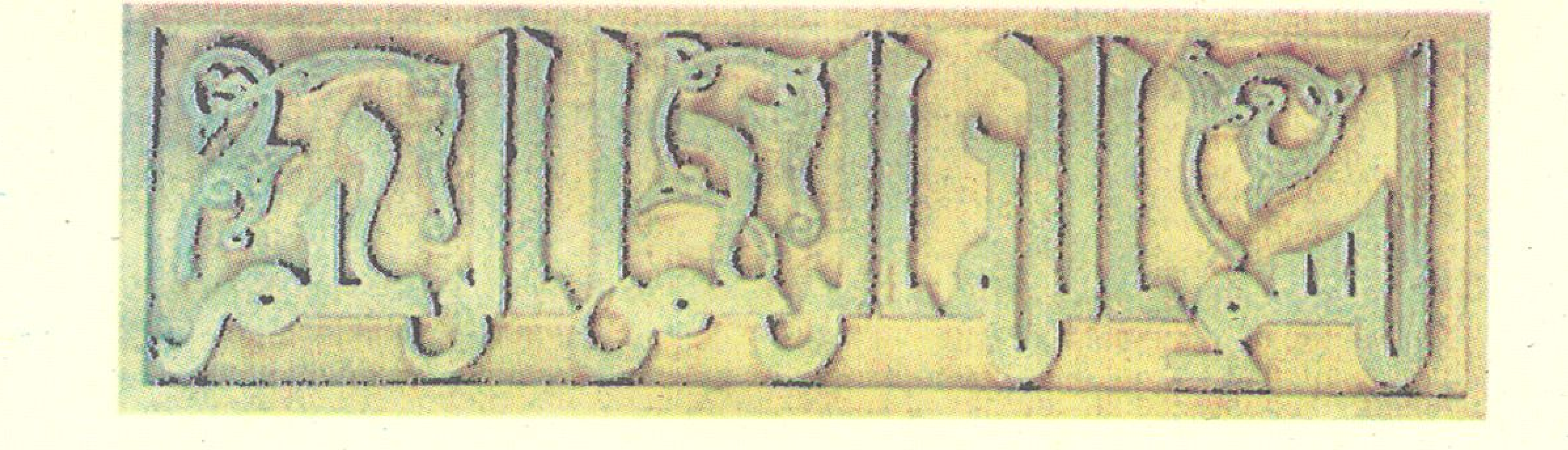
[1] - تاريخ مدينة الإسكندرية ص ١٠٩

[2] - تاريخ مدينة الإسكندرية وحضارتها ص ٤٧٥ ـ الإسكندرية ص ١٦٥ - ١٦٦

المراجـع

- لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن ــ مكتبة التراث الإسلامي بمسجد الإمام أبي العباس المرسي ١٠٨٩ / تصوف ، ١١٠٩ / تصوف {مخطوطة}
- ابن عطاء الله الإسكندري { أنس العروس} ــ مخطوطة بمكتبة البلدية بالإسكندرية رقـــم (٣٢١١ج) ــ مناقب الشاذلية مخطوطة بمكتبة البلدية بالإسكندرية
- محمود " د. عبد الحليم محمود " العارف بالله أبو العباس المرسي ، ط القاهرة ، ١٣٩٦ هـــ - ١٩٧٦م
- المســكين " حســن المسكين " ، البوصيري " إمام المادحين " ط الهيئة الإقليمية لتنشيط السياحة بمحافظة بني سويف
- زكي " عبد القادر زكي " ، النفحات العلية في أوراد الشاذلية ، ط القاهرة سنة ١٣٢١ هـ
- ابـــن بشكوال " أبي القاسم خلف عبد الملاك " ، ك الصلة ، (٢) مجلد ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المكتبة الأندلسية ، سنة ١٩٦٦م
- سالم " د. السيد عبد العزيز سالم " تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، ط الإســكندرية ســنة ١٩٨٢ ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ط الإسكندرية سنة ١٩٦٢ م ، المــآذن المصــرية نظــرة عامة عن أصلها وتطورها ، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩ م
- عنان " محمد عبد الله عنان " دولة الإسلام في الأندلس ، ط القاهرة ، سنة ١٣٦٢هــ
- العارف بالله المرسي أبو العباس ، مصلحة الاستعلامات ، في الستينيات
- الإسكندرية روعة وعطاء ، هيئة تنشيط السياحة بالإسكندرية ، ٢٠٠٢
- الســندوبي " حسن السندوبي " أبو العباس المرسي ومسجده الجامع الإسكندرية ط القاهرة سنة ١٩٤٤ م
- موسوعة مساجد مصر ، ط وزارة الأوقاف ، مصلحة المساحة سنة ١٩٤٨ م
- محمد أحمد السعودي ، رفع الالتباس عن أبي العباس ، مطابع جريدة السفير ، ١٩٩٢
- عرفه عبده علي ، رمضان في الزمان الجميل ، ٢٠٠٢

الفهرس





صدر للمؤلف ثلاثة عشر كتاباً
بالإضافة إلى الأبحاث المنشورة
بإصدارات المؤرخين العرب
و مجلة المؤرخ العربى
و مطبوعات لجامعة الإسكندرية

شارك بأبحاث فى مؤتمرات و ندوات دولية و محلية و يعد مادة علمية لبرامج تلفيزيونية .. بالإضافة إلى الأحاديث الإذاعية و التليفزيونية و برنامج " صباح الخير يا مصر " و ما ينشره بالصحافة و المجلات من مقالات و بحوث تاريخية

مراقد مصر المقدسة

آل البيت في المحروسة

